السنة التاسعة (رمضان سنة ١٣٦١ - أكتوبر سنة ١٩٤٢م) العدد الثانى

صحيفة دار العلوم

ص ١ ج ٢ م ١٩٣٤ ع

تصدرها «جماعة دار العلوم»
كل ثلاثة أشهر

المدير
محمد نجيب حتياتة

رئيس التحرير
محمد على مصطفى

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير
بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية
ترسل باسم أمين الصندوق

السباعى بيومى
المدرس بدار العلوم
مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوى

فى القطر المصرى	٢٠ قرشاً
خارج القطر	٣٠ قرشاً
ثمن العدد	٥ قروش

مطبعة العلوم بشارع الخليج ١٦٣

"إن باحثاً مدققاً لو أراد أن يعرف أين تموت اللغة العربية وأين تحيا، لوجدها تموت في كل مكان وتحيا في دار العلوم"

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بمن ذكرهم شمس الدين السخاوى
ممن قرظوا كتاب أبى التقى البدرى صاحب كتاب (سحر العيون)
البرهان الباعونى وأخواه
وبعض المشهورين من أسرة الباعونى

لحضرة الأستاذ الجليل أحمد يوسف نجاتى

كنت قد شرعت أكتب فى الأدب المصرى فى عصر المماليك وبدأت فى ذلك بالكلام على كتاب (سحر العيون) والتعريف بمؤلفه لمناسبة ذكرتها فى المقالة الأولى من مقالات ثلاث نشرت فى مجلة الرسالة الغراء، ثم حالت أزمة الورق واتجاه المجلات والجرائد إلى تقليل عدد صفحاتها دون الاستمرار فى هذا الموضوع القيم، والآن قد تقدمت الينا مجلتنا المحبوبة (صحيفة دار العلوم) أن نمدها ببعض المقالات الأدبية النافعة، فرأيت أن أصل ما انقطع وأن أبدأ أولا بتتمة الكلام فى التعليق على ترجمة تقى الدين البدرى المنقولة من كتاب (الضوء اللامع) لشمس الدين السخاوى فان بها أشياء كثيرة تحتاج إلى الشرح والبيان، وقد أسلفت منها فى ثلاث المقالات القول فى التعريف ببنى الشحنة الذين كان ينتمى إليهم صاحبنا البدرى.

وأفتتح مقالاتى الآتية بترجمة البرهان الباعونى وأخويه والتعريف ببعض الأدباء من أسرة الباعونى فأقول: بنو الباعونى أسرة شامية عرفت بالعلم

والدين والأدب فى القرن التاسع الهجرى خاصة وهم ينسبون إلى (باعونة) قرية صغيرة من قرى حوران بالقرب من (عجلون) كانت من أعمال (صفد) (مدينة فى جبل عاملة المطلة على حمص بالشام وهى من جبال لبنان) وإلى صفد ينسب المؤرخ الأديب الشاعر صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المشهور توفى سنة ٧٦٤ هـ وقال المقريزى : وسميت القرية (باعونة) لأنه كان فى موضعها دير للنصارى يسمى راهبه (باعونة) فلما أزيل الدير وأنشئت القرية مكانه عرفت باسمه)أحياء لذكره أوشماتة به .

(١) وكان جد هذه الأسرة - وهو ناصر بن خليفة بن فرج بن عبدالله ابن يحي بن عبد الرحمن حائكا بهذه القرية وتاجرا فى البز يتنقل به فى البلاد ويضرب فى الأرض يبتغى من فضل الله ، فكسب ثروة كافية ثم انتقل إلى (الناصرة) من أعمال صفد أيضا ولهذا قد ينسب اليها بنوه وأحفاده — فمن أولاده

(٢) شرف الدين موسى بن ناصر الفقيه المقرىء المحدث توفى فى شهر رمضان سنة ٧٩٤

(٣) أخوه عماد الدين بن اسماعيل بن ناصر ، وكان فى زمانه شيخ الناصرية على طريقة الفقهاء والصوفية ؛ وولى قضاء بلده (الناصرية) حينا ، وكانت له تجارة رابحة وثروة وجاه ومكانة ، وتوفى أواخر سنة ٨٠٩ عن نحو ٧٠ سنة .

(٤) وأخوه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ناصر الباعونى الناصرى الشافعى نزيل دمشق ، ولد بالناصرة سنة ٧٥٢ ونشأ بها وتلقى العلم والأدب عن أخيه اسمعيل وغيره من أئمة الشام بصفد ودمشق وسواهما وأقام بمدينة

صفد إلى ما بعد سنة ٧٩٠ إذ ثار عليه أهلها واتهموه بأنه مدح (منطاش)[1] خصم السلطان وغض من الملك (برقوق) فخرج منها خائفا يترقب، وولى وجهه شطر مدينة القاهرة ملجأ الخائف وملاذ المكروب فوصله بعض فضلائها بسلطانها العظيم (برقوق) وأحسن فيه القول، فأدنى السلطان منزلته وأكرم وفادته وولاه خطابة جامع بنى أمية بدمشق سنة ٧٩٢ فسار سيرة مرضية فى سلوك الحق وعدم المحاباة.

ولكنه لم يخل من حاسد يكيد له ويتربص به الدوائر حتى اتفق أن طلب السلطان برقوق أن يقترض مالا من وقف كان لأيتام بمدينة دمشق فأبى القاضى أحمد الباعونى ذلك، ووجد أعداؤه فيه حينئذ فرصة انتهزوها (ومن هؤلاء جلال الدين بن خطيب داريا (محمد بن أحمد بن سليمان بن يعقوب الأديب الشاعر توفى سنة ٨١٠ — وكان قد قال فيه لما ولى القضاء بدمشق:

قضاء دمشق قد نادى حماتى لم يراعونى
رميت بكل مصقعة وبعد الكل (باعونى)

فعزل من القضاء سنة ٧٩٦ وسجن ثم أطلق فلزم داره، ولم يزل كذلك حتى قام بأمر مصر والشام بعد السلطان الظاهر برقوق ولده الملك الناصر (فرج بن برقوق) سنة ٨٠١ فولاه الخطابة بالمسجد الأقصى سنة ٨٠٢ ثم

---

(١) منطاش الأشرفى كان السلطان الظاهر برقوق قد ولاه نيابة المملكة بملطية سنة ٧٨٨ فشق عصا الطاعة وثار فى البلاد بمن انضم إليه من شردهم الملك برقوق لما ولى الأمر فعثوا فى الأرض فسادا، وبعد حوادث ووقائع طويلة بينه وبين الملك برقوق قبض عليه فاعتقل بقلعة حلب وقتل بها سنة ٧٩٥ ﻫ وكان رجلا شجاعا فاتكا جريئا على الهمة كثير العطايا نهابا وهابا كما كان أهوج طائشا — وبعد قتله جىء برأسه إلى مدينة القاهرة فطيف به فى أرجائها ثم علق على باب زويلة حينا.

أضيف اليه ثانية قضاء دمشق سنة ٨١٢ فسار فيه بعفة ونزاهة ، ثم عزل عنه واقتصر على خطابة بيت المقدس ثم عاد إلى مدينة دمشق حتى أدركته منيته بها فى شهر المحرم من سنة ٨١٦ وكان إماما فاضلا ذا دين متين وخلق عظيم من أعظم أنصار الحق وأعوانه آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر عفاً نزيها كثير الفوائد ألقى الدروس القيمة بمدارس كثيرة ، وكان حسن الهيئة جميل البزة ذكيا فطنا أديبا شاعرا مجيدا وكاتبا قديراً وخطيبا مصقعا بليغ القول عذب الحديث حلو المنطق لطيف المحاضرة حسن المذاكرة قادرا على سرعة النظم وارتجال الخطب .

غير أن السخاوى نقل عن المقريزى أنه كان عريض الدعوى شديد الإعجاب بنفسه) فإن صح هذا فإنه عندى يغطى سائر محاسنه ويعفى على كل فضائله ، وإن كان بعض الناس يرى غير ذلك فيقول معتذرا لمن يعجب بنفسه

وماذا على الإنسان فى مدح نفسه إذا لم يكن فى قوله بكذوب

وما زالت الأشراف تهجى وتمدح ، وقد أثنى على القاضى الباعونى ابن قاضى شهبة [١] فى كتابه (طبقات الشافعية) ومن شعره :

ولما رأت شيب راسى بكت وقالت عسى غير هذا عسى
فقلت البياض لباس السرور وإن السواد لباس الأسى
فقالت صدقت ولكنه قليل النفاق بسوق النسا

وله ايضاً :

---

(١) هو القاضى تقى الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر المعروف بابن قاضى شهبة (بلدة من أعمال حوران) توفى بدمشق سنة ٨٥١ وكتابه (طبقات الشافعية) منه نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم ١٥٦٨ ، وأخرى رقم ٩٠ م بخط أبى الفضل محمد بن محمد بهادر المؤمنى الطرابلسى الشافعى نزيل القاهرة تلميذ الجلال المحلى فرغ من كتابتها سنة ٨٥٩ ونقلها من نسخة تاريخها سنة ٨٤٨ .

سلم إلى الله ما قضاه لابد ان ينفذ القضاء
سيجعل الله بعد عسر يسرا به يذهب العناء
يدبر الأمر جل ربى (ويفعل الله ما يشاء)

وله تخميس للبردة اوله :

ياباغيا كتم امر غير منكتم انى وطرفك صافى الدمع لم ينم

وهو ضمن مجموعة كلها تخميس للبردة لشعراء كثيرين تجدها مخطوطة بدار الكتب المصرية .

هذا وقد رايت فى فهرس دار الكتب صفحة ١٢٠ من الجزء الثالث) ما يأتى : (ديوان الباعونى) وهو قاضى القضاة شهاب الدين ابو العباس احمد الباعونى الشافعى الدمشقى مكتوب على اوائل بعض قصائده ورسائله ما يفيد انه كان موجودا سنة ٨٦٧ هـ وقد ندبه السلطان الملك الظاهر جقمق لتوليته قضاء الشافعية بالشام المحروسة فلم يلتفت لذلك ورعا منه) جمعه ولده برهان الدين أبو إسحق إبرهيم وهو يشتمل على فنون كثيرة من ابواب الأدب فى التضمين والمدح والغزل والنسيب وشكوى الحال والرثاء ومخاطبة الملوك والأمراء والقضاة والعلماء وفى الرسائل بداه بتضمين (بانت سعاد) لكعب بن زهير بن ابى سلمى المزنى وسماه (ذخر المعاد فى تضمين بانت سعاد) ثم تضمين (ملحة الاعراب) فى النحو لأبى محمد القاسم بن على الحريرى المصرى وسماه (نزهة الأحباب فى تضمين ملحة الاعراب) ثم تضمين الألفية لابن مالك سماه (المنحة فى تضمين الألفية والملحة) وغير ذلك ، ويغلب على الظن انه بخط جامعه كما يفهم من نبذة على ظهر الورقة الأولى منه) اهـ .

والذى اراه ان هذا الديوان إنما هو ديوان ابنه جامعه وكاتبه وهو برهان الدين إبرهيم بن احمد الباعوني نفسه لا ديوان ابيه ، فالبرهان الباعوني

هو الذى كان موجودا سنة ٨٦٧ (اما والده فقد تقدم انه ولد ٧٥٢ وتوفى سنة ٨١٦) والبرهان هو الذى عاصر الملك الظاهر جقمق (٨٤٢ — ٨٥٧) وهو الذى ندب لتوليته القضاء فأبى ، ولكن كان ذلك سنة ٨٢٣ فى مدة الملك المؤيد شيخ بن عبد الله المحمودى الذى ولى الأمر بعد الناصر فرج بن برقوق (٨١٥ — ٨٢٤) والملك المؤيد هذا هو المدفون بقبته التى انشأها بالجامع المؤيدى بباب زويله) وكانت سن البرهان الباعونى عند اول تولية الملك الظاهر ابى سعيد جقمق نحو ٦٥ سنة وقد ادرك عصر من بعد جقمق كما سيأتى) . وكان البرهان فى سنة ٨٢٣ (بعد وفاة ابيه بسبع سنوات) خطيبا بجامع بنى امية بدمشق . قال شمس الدين السخاوى فى ترجمته : وجهز اليه التوقيع بالقضاء حين استقرار الكمال بن البارزى [1] فى كتابة الديار المصرية سنة ٨٢٣ فامتنع وصمم وراجعه النائب وغيره من اعيان الأمراء والرؤساء وغيرهم فما اذعن وتكرر خطبه لذلك مرة بعد اخرى وهو يأبى إلى ان قيل له فعين لنا من يصلح فعين اخاه) اه

٤ — البرهان الباعونى : (وهو الذى قرظ كتاب البدرى) هو برهان الدين إبرهيم بن شهاب الدين احمد بن ناصر بن خليفة الباعونى الناصرى . ولد فى شهر رمضان سنة ٧٧٧ بمدينة صفد ونشأ بها ثم انتقل منها مراهقا

(١) الكمال بن البارزى هو محمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم ابن إبرهيم بن هبة الله بن المسلم بن هبة الله بن حسان ، ينتهى نسبه إلى الصحابى الجليل (عبد الله بن أنيس الأنصارى) ولد سنة ٧٩٦ بمدينة حماة ونشأ بها فى كنف أبيه ثم انتقلا الى القاهرة سنة ٨١٥ مع الملك المؤيد ، وولى كتابة السر بالقاهرة ، ولم يزل يتردد فى الأعمال العظيمة بمصر والشام حتى توفى سنة ٨٥٦ وكان رئيسا كريما حسن السياسة جميل الخلق والخلق لطيف الشمائل أديبا كاتبا بارعا قديرا فى الإنشاء والترسل .

مع ابيه إلى الشام ، وتلقى العلم عن والده وغيره من علماء صفد ودمشق وسواهما ودخل مصر سنة ٨٠٤ فتردد بها إلى غير واحد من فضلائها وأئمة العلم والأدب فيها ثم عاد إلى بلده فأقام بها على احسن حال واجمل طريقة وصار شيخ الأدب بالبلاد الشامية بدون منازع، وولى خطابة الجامع الأموى بدمشق والخطابة بيت المقدس وقلد غير ذلك من الوظائف الدينية والعلمية وأبى وجهه ان يلى القضاء بعد ان الحّ عليه اولو الأمر فى ذلك ، وحمدت سيرته فى كل ما وليه من الاعمال إذ كان يؤثر الحق ويصمم عليه ولا تأخذه فيه لومة لائم ، ولا يقيم وزنا لما كان يصل إليه من رسائل الكبراء فى الشفاعات ونحوها ، واثنى فضلاء زمانه على فضائله وجميل خصاله ، وكان بارعا فى النظم والنثر وله اليد الطولى فيهما

قال السخاوي : وقد لقيته بدمشق وسمعت من نظمه ونثره مالا احصيه وكان يحكى ان الزين عبد الباسط (١) قال له إن مراسلاتك المسجعة إلينا تبلغ أربع مجلدات فكيف بغيرها) وكان جميل الهيئة منور الشيبة طولا مهيبا ذا فصاحة وطلاقة وحشمة ورياسة ومكارم وتواضع وتودد وعدم تدنس بما يحط من مقداره وقد ترجمه بعض المتأخرين بالشيخ الامام العلامة خطيب

---

(١) هو زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبرهيم الدمشقى ثم القاهرى ، ولد بدمشق سنة ٧٨٤ ، وولى الأعمال الجليلة بمصر ، وكان فيها من عظماء الدولة وأولى المكانة والجاه والثراء الطائل وكان فى عصره فردا فى رؤساء مصر والشام وملجأ للناس ، كثير الإحسان عظيم البر حتى سار ذكره وانتشر فضله وخيره ، وللشعراء فيه مدائح كثيرة ، وهو الذى أنشأ (القيسارية) المعروفة بالباسطية داخل باب زويلة ، وتوفى فى شوال سنة ٨٥٤ قبل وفاة البرهان الباعونى بستة عشر عاما ، وإذا كانت رسائله المسجعة اليه قبل وفاته أربع مجلدات ، فكيف بما أنشأه بعد ذلك فى ١٦ سنة فى أغراض مختلفة

الخطباء شيخ الشيوخ ولسان العرب وترجمان الأدب وبرهان النظر فريد العصر وإنسان عين الدهر ... الخ) اهـ – وتوفى فى شهر ربيع الأول سنة ٨٧٠ بدمشق وجاء الخبر بذلك إلى الديار المصرية فصلى عليه صلاة الغائب بالجامع الأزهر رحمه الله تعالى .

ومن شعر البرهان الباعونى فى التضمين (١) :

أشكو إلى البارى أناسا قد غدت ملأى بأنواع المخازى دورهم
تغلى على صدورهم غيظا كما تغلى على الجمر الكثيف قدورهم
هم يعلنون لدى اللقاء مودتى (والله يعلم ماتكن صدورهم)

ومنه – قالوا الحميا شراب للأنس والبسط جاءت
فقلت ردا عليهم (بئس الشراب وساءت)

---

(١) يراد بالتضمين هنا مايسميه البديعيون (الاقتباس) وهو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث الشريف لا على أنه منه ، ومنه ماأمليته على طلبة المدرسة السعيدية يوم أن زارها المغفور له جلالة الملك (أحمد فؤاد) رحمه الله سنة ١٩١٥ وكان الدرس يومئذ فى فن البديع فى الاقتباس :

حللت القلوب مقيما بها فكانت بحبك حرزا حريزا
فلا زلت ترعاك عين العلا (وينصرك الله نصرا عزيزا)

ولا بأس فى الاقتباس بتغيير يسير فى اللفظ المقتبس مراعاة للوزن كما قلت لما ظهر المذنب فى نحو سنة ٩٠٨ وأرجف الناس بأن ظهوره علم للساعة :

وقالوا بدا من جانب الأفق كوكب دها الأرض منه منذ أشرق مادها
سيتركها قاعا ويزهق أهلها ويصدق فيها مالك الملك وعدها
وكم مر فى هذا الفضاء كواكب لها ذنب لاتستطيعون عدها
هى الساعة اختص الإله بعلمها ستأتى ولو شاء الإله لمدها
ولكنها تأتى البرية (بغتة فتبهتهم لايستطيعون ردها)

ومن شعره :

أشد الناس فى الدنيا عناء ... كريم مجده مجد أثيل

يحب مكارم الأخلاق مثلى ... وليس له إلى الدنيا سبيل

ومنه :

إذا استغنى بنو الدنيا بمال ... لهم جم فكن بالله أغنى

وإن مالوا إلى الإكثار فاقنع ... فإن القنع كنز ليس يفنى

ومنه :

سل الله ربك ماعنده ... ولا تسأل الناس ماعندهم

ولا تطلبن من سواه الغنى ... وكن عبده لا تكن عبدهم

وقال :

سئمت من الدنيا وصحبة أهلها ... وأصبحت مرتاحا إلى نقلتى منها

ووالله ما آسى عليها وإننى ... وان رغبت فى صحبتى راغب عنها

فما زالت الأكدار محفوفة بها ... وما زال عنها دائما ذو النهى ينهى

وقال ابن قاضى شهبة فى طبقات الشافعية : أضافنا البرهان الباعونى بمنزله فى الصالحية صحبة النجم ابن حجى [٢] وقرأ علينا تضمينه ألفية ابن مالك

---

(١) هو أبو الفتوح نجم الدين عمر بن حجى بن موسى بن أحمد بن سعد الدمشقى ولد بدمشق سنة ٧٦٧ وطلب العلم بمدن مصر والشام وولى وظائف القضاء والإفتاء وغيرهما ، وكان رئيسا جليلا ذا حرمة ومهابة صارما مقداما ذكيا حاد الذهن فصيحا حسن التصرف مدرسا ماهرا كما كان حاد الخلق سريع البادرة ، قتل وهو نائم على فراشه فى بستانه بدمشق سنة ٨٣٠ - وقد أصهر ابنه محمد المتوفى سنة ٨٥٠ الى الكمال ابن البارزى المتقدم وله من ابنة الكمال ولده يحى بن محمد بن عمر بن حجى توفى سنة ٨٨٨ بالقاهرة ودفن عند أبيه وجده لأمه بالقرب من ضريح الإمام الشافعي .

قصيدة امتدح بها النجم بن حجى كما فعل ابن نباتة بالملحة فى مدح السبكى فأجاد كل الإجادة على أن بين الالفية والملحة البون الكثير فتضمين الالفية أشد ولكنه ممن ألين له الكلام) اه وقد تقدم أنه ضمن الملحة أيضا

وقال البدرى صاحب (سحر العيون) فى كتابه (نزهة الانام فى محاسن الشام) : وأنشدنى شيخنا المرحوم العلامة برهان الدين الباعونى الشافعى فى (الآس) الذى هو من محاسن الشام :

وروضة بانها يهتز من طرب شبيه مرتشف من خمرة الكاس

يثنى النسيم على الآس النضير بها فهو العليل الذى يثنى على (الآسى)

وهنا خطر فى نفسى أن من أسباب غض السخاوى من قدر البدرى ولاءه للقاضى عبد البر بن الشحنة (عرفت به فى الرسالة الغراء) وانتماءه اليه وأنه كثيرا ما يعتد به ويذيع أدبه فى كتبه ، قال فى (سحر العيون) أنشدنى لنفسه الكريمة المقر السرى عبد البر نجل شيخ الإسلام محب الدين ابن الشحنة الحلبى المولود سنة ٨٥١

لما رنا بلحظه خلفنى حلف الضنى

وحاجباه اتفقا لقتلتى واقترنا

وقال فى موضع آخر : أنشدنى المقر السرى (عبد الرحمن) نجل شيخ الإسلام :

حبيب قلبى قد سما بحسنه بدر السما

عيناه أرواح الورى قد نهبا واقتسما

وأنا أرى أنه يريد (عبد البر) وما فى الكتاب تحريف فقد توفى (عبد الرحمن) أخو شيخ الإسلام لا نجله سنة ٨٣٠ قبل مولد البدرى ، ومن شعر عبد الرحمن هذا :

لا تلوموا الغمام إن صب دمعا وتوالت لأجله الأنواء

فالليالى أكثرن فينا الرزايا فبكت رحمة علينا السماء

هذا وقد جمع البرهان الباعونى لنفسه ديوان خطب من إنشائه وديوان شعر من نظمه (وقد عرفت أن ديوان الباعونى المحفوظ بدار الكتب إنما هو ديوان البرهان الباعونى لا ديوان أبيه) وقال فى كشف الظنون (عقود الابكار من بنات الافكار) للقاضى برهان الدين إبرهيم بن أحمد الباعونى المتوفى سنة ٨٧٠ وهو ديوان أشعاره . وقال السخاوى فى ترجمته : وأنشأ البرهان الباعونى رسالة عاطلة من النقط من عجائب الوضع فى السلاسة والانسجام وعدم الحشو والتكلف واختصر الصحاح للجوهرى اختصارا حسنا وله كتاب (الغيث الهاتن فى وصف العذار الفاتن) أتى فيه بمقاطيع رائقة ومعان فائقة واشتمل على نحو مائة وخمسين مقطوعة أودع كلا منها معنى غريبا غير الآخر مع كثرة ماقال الناس فى ذلك مما هو دال على سعة نظره وحسن فكره) اه.

٦) أخوه شمس الدين أبو الفضل محمد بن أحمد بن ناصر . ولد بدمشق حوالى سنه ٧٨٠ ونشأ بها . وأخذ عن أبيه وغيره من فضلاء الشام ، وكان إماما عالما أديبا فاضلا ، وولى الخطابة بجامع دمشق وغيره وشغف بالادب وأولع بنظم الشعر وأتى فيه بالكثير الحسن ، ولقبه شمس الدين السخاوى بدمشق وكتب عنه شيئا من شعره ، قال السخاوى : ومما أنشدنيه فى رثاء ولده مضمنا :

أمحمد إن كان قد عز اللقا ومضت مسرات الحياة بأسرها
فلأبكينك ماحييت وان أمت فلتبكينك أعظمى فى قبرها

وبعد وفاة ابنه عدل عن وظائفه وأعماله وجمع نفسه على العبادة والتأليف والإفادة حتى أجاب نداء ربه فى شهر رمضان من سنة ٨٧١ هـ . وله نظم السيرة النبوية المسمى (منحة اللبيب فى سيرة الحبيب) يزيد على ألف بيت وأوله :

يقول راجى ذى الجلال الصمد عبيده محمـد بن احمد

الحمـد لله إله الخـلق باعث خـير رسـله بالحق

ومنه بدار الكتب الملكية نسخة بخط أحمد بن خليل اللبودى فرغ من كتابتها فى ١٩ من المحرم سنة ٨٦٣ وعليها خط المؤلف . وله أرجوزة أخرى فى التاريخ سماها (تحفة الظرفاء فى تاريخ الملوك والخلفاء) وفى كشف الظنون (فرائد السلوك فى تاريخ الخلفاء والملوك) منظومة لأبى الفضل محمد بن أحمد الباعونى المتوفى سنة ٨٧١ من أول الخليقة إلى الأشرف قايتباى) وسماها السخاوى (تحفة الظرفاء فى تاريخ الملوك والخلفاء) ثم ذيلها ابن أخيه محمد بن يوسف إلى زمن الأشرف قايتباى وسماها (الاشارة الوفية الى الخصائص الأشرفية) . وفيه أيضا (تحفة الظرفاء فى تاريخ الملوك والخلفاء) أرجوزة لمحمد بن أحمد الباعونى أولها : يقول راجى ربه محمد ... كتبها إلى زمان المستعين بالله .

(وفى الضوء اللامع) فى ترجمة محمد بن يوسف بن أحمد بن ناصر الباعونى وهو ابن أخى أبى الفضل المذكور ما يأتى : ورأيت له أرجوزة ذيل بها على أرجوزة عمه فى التاريخ التى انتهى فيها إلى (الأشرف برسباى) وصل فيها إلى سلطان وقتنا وأطال فى متجدداته ومآثره بحيث كانت أشبه شىء بترجمته) هـ وهذا هو الصواب فما فى كشف الظنون من أنه (الأشرف قايتباى تصحيف فقد كانت مدة الأشرف قايتباى من ٨٧٢ - ٩٠١ هـ) أى بعد وفاة الناظم أما الملك الأشرف برسباى بن عبد الله سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية وهو الثامن من ملوك الجراكسة فقد ولى الأمر من (سنة ٨٢٥ — سنة ٨٤١) أى قبل وفاة الناظم بثلاثين سنة فلعل الناظم وقف فى النظم عند ذلك الحد لشواغل من الحزن أو نحوه ، وقد يقوى هذا قول صاحب كشف الظنون فى موضع آخر (إلى زمان المستعين بالله) فقد كانت

خلافة المستعين بالله العباسى بمصر من (٨٠٨ ٨٣٣) وجاء بعد (برسباى) أبو سعيد الملك الظاهر جقمق بن عبد الله وتوفى سنة ٨٥٧ فولى الأمر بعده (الملك الأشرف إينال العلائى المتوفى سنة ٨٦٥) وربما كانت سيرة الناظم تنتهى إلى الملك الأشرف هذا أى قبل وفاة الناظم بنحو ست سنوات فأنى أظن أن الالتباس جاء من أن كلا من السلطان (قايتباى، برسباى، إينال) يلقب الملك الأشرف وللناظم كتاب (ينابيع الأحزان) صنفه بعد موت ولده رحمهما الله تعالى.

(٧) **أخوه قاضى القضاة** جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن ناصر الباعونى المقدسى ثم الصالحى الدمشقى الشافعى، ولد فى جمادى الأولى سنة ٨٠٥ ببيت المقدس؛ ثم انتقل به أبوه وهو طفل فى الرابعة إلى دمشق فنشأ بها ودرس على أساتذتها وتلقى العلم والأدب بغيرها من مدن الشام ثم رحل إلى القاهرة كعبة العلم ومنتدى الادب والفضل سنة ٨٢٨ وأقبل فيها على الدرس وجد فى تحصيل العلوم حتى ظهر فضله فقلد قضاء مدينة (صفد) وكتابة السر بها ثم ولى القضاء بطرابلس وحلب ثم بدمشق سنة ٨٤٧ وألقى الدروس المفيدة بعدة مدارس، وحمدت سيرته فى كل ما عهد اليه فى القيام به فقد كان معروفا بالفقه والأدب وحسن الإدارة والسياسة مع وجاهته وعزة نفسه وحدة ذكائه وكامل مروءته وجميل بزته مشهورا بالصلاح والتقوى ومراقبة مولاه فى السر والعلن، وحج غير مرة وله النثر البديع والشعر الفائق وتوفى فى شهر ربيع الآخر سنة ٨٨٠ وخلف ذرية طيبة ذكورا وإناثا، ومن شعره:

إن غلقت أبواب رزق الفتى وعاد صفر الكف والجيب
يضرع إلى مولاه فى فتحها (فعنده مفاتح الغيب)

واقترن بهاء الدين محمد بن عمر بن حجى السالف ذكره والمتوفى سنة

٨٥٠ بالقاهرة) على جمال الدين يوسف الباعونى وعلى شهاب الدين أحمد بن إبرهيم بن محمد بن محمد بن عمر النابلسى ثم الدمشقى نزيل القاهرة (المولود فى شهر رجب سنة ٨١١ بنابلس) تضمين قول الشاعر :

فوالله ما أدرى أأنت كما أرى أم العين مزهو اليها حبيبها ؟

فقال الجمال الباعونى :

أراك حبيب القلب تزهو لناظرى وإن مرضت نفسى فأنت طبيبها

وقال الشهاب النابلسى :

أراك إذا ما مت يوما على الربا تحرلك الورقا ويبدو وجيبها

وعندى أن بيت الباعونى أنسب لفظا ومعنى بالبيت المضمن وأشد ارتباطا به فكأنه تمهيد له يسهل الانتقال منه إليه . هذا وفى دار الكتب مجموعة تشتمل على جملة تخاميس للبردة منها تخميس أوله :

يامن غدا فاقدا للصبر بالألم ومن بدا وجده للناس كالعلم ...

ينسب إلى جمال الدين يوسف بن محمد بن عبد الرحمن الباعونى ، وأراه غير جمال الدين يوسف بن أحمد بن ناصر الباعونى المذكور .

(٨) ابنه بهاء الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن ناصر الباعونى الأصل الدمشقى (وهو الذى ذيل أرجوزة عمه السابق) ولد بصالحية دمشق حوالى سنة ٥٨٨ وأخذ عن والده وعمه البرهان وغيرهما من أعيان العصر ، وغلب عليه الأدب وجمع عدة دواوين ، وتوفى فى شهر رمضان سنه ٩١٠ — وفى كشف الظنون : كتاب الحظ الموفور فى مدح ابن الفرفور) لمحمد بن الباعونى) اه وأنا أظنه هذا لأن ممدوحه وهو قاضى القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمود بن عبد الله بن محمود الشهير بابن الفرفور الدمشقى ولد فى شهر شوال سنة ٨٥٢ وتوفى سنة ٩١١) فهو المعاصر لبهاء الدين الباعونى هذا وأسن منه وكان ابن الفرفور قاضى قضاة الشافعية بدمشق ثم جمع له بينه

وبين قضاء مصر سنة ٩١٠ وكان جامعا بين العلم والسياسة والكرم وجوادا ممدحا ، وممن مدحه علاء الدين على بن مليك الحموى الأديب الشاعر المشهور المتوفى سنة ٩١٧ وابنه ولى الدين قاضى القضاة محمد بن أحمد كان من أعيان بنى الفرفور ولد سنة ٨٩٥ وولى قضاء الشافعية بدمشق بعد وفاة أبيه ، ثم ولى قضاء حلب سنة ٩٢٦ وكان آخر قاض تولى قضاء حلب من بنى العرب ، ولم يطلب له العمل فى الدولة العلية العثمانية وبقى بين ولاية وعزل حتى توفى سنة ٩٣٧ - وابنه القاضى زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد كان اماما فاضلا شاعراً بارعا وتوفى سنة ٩٩٢)

٩ — وأخته السيدة أم عبد الوهاب عائشة بنت يوسف بن أحمد الباعونية الأديبة المشهورة والشيخة الصالحة البرة التقية ذات العلم والعمل ، كانت من نوادر عصرها علما وفضلا وأدبا وتقوى ودينا وورعا وعفة وصيانة تلقت العلم ببلدها وبمصر حتى نالت من العلوم والآداب حظاً وافراً وأجاز لها أكابر وقتها بالتدريس والافتاء ، وقد صنفت عدة مؤلفات أدبية وصوفية رائقة ، ومن كلامها : وكان مما أنعم الله به على أنى بحمده لم أزل أتقلب فى اطوار الإيجاد ، فى رفاهية لطائف البر الجواد ، إلى أن خرجت إلى هذا العالم المشحون . بمظاهر تجلياته ، الطافح بعجائب قدرته وبدائع اراداته ، المشوبة موارده بالأقذار والأكدار ، الموضوع بكمال القدرة والحكمة للابتلاء والاختبار ، دار ممر لا بقاء لها إلى دار القرار ، فربانى اللطف الربانى فى مشهد النعمة والسلامة ؛ وغذانى بلبان مداد التوفيق لسلوك سبيل الاستقامة فى بلوغ درجة التمييز ، أهلنى الحق لقراءة كتابه العزيز ، ومنَّ على بحفظه على التمام ، ولى من العمر حينئذ ثمانية أعوام ، ثم لم أزل فى كنف ملاطفات اللطيف ، حتى بلغت درجة التكليف . . الخ) اه

وتوفيت بدمشق سنة ١٩٢٢ مع انقضاء دولة الجراكسة — وقد ترجم لها فى صدر كتاب (خزانة الأدب وغاية الأرب) لأبى بكر بن حجة الحموى المتوفى سنة ٨٣٧ ترجمة مرجزة ونسب اليها خطأ البيتين الآتيين قال (ولها بيتان فى جسر الشريعة لما بناه الملك الظاهر برقوق هدما كثيرا مما شيده فحول الشعراء من البيوت واذا تأملت فى سحر بلاغتهما فكأنما رأيت هاروت وماروت) وهما

بنى سلطاننا برقوق جسرا . بأمر والأنام له مطيعة
مجازفى الحقيقة للبرايا وأمر بالوقوف على الشريعة

وأقول ليس البيتان لها ولم يكن برقوق سلطانها بل مات قبل ولادتها بأكثر من قرن بل توفى قبل مولد أبيها فقد ولد وتوفى سنة ٨٨٠ ، وكانت سلطنة الملك الظاهر برقوق من (سنة ٧٨٤ — سنة ٨٠١ وكان بناء جسر الشريعة سنة ٧٨٤ ونهر الشريعة بالقرب من بيت المقدس والمعروف أن البيتين لشاعر فحل هو شمس الدين محمد بن المزين الدمشقى الأديب الشاعر المشهور (محمد بن بركة ولد سنة ٧٣٥ وتوفى سنة ٨١١ وموعدنا بترجمته وترجمة غيره من أدباء عصر المماليك قريب ان شاء الله)

ومن شعر السيدة عائشة الباعونية فى وصف دمشق

نزه الطرف فى دمشق ففيها كل ما تشتهى وما تختار
هى فى الارض جنة فتأمل كيف تجرى من تحتها الانهار
كم سما فى ربوعها كل قصر أشرقت من وجوها الأقمار
وتناغيك بينها صادحات خرست عند نطقها الأوتار
كلها روضة وماء زلال وقصور مشيدة وديار

ومن بارع التشبيه قولها :

كأنما الخال تحت القرط فى عنق بدالنا من محيا من جل خلقا

نجم بدا لعمود الصبح مستترا تحت الثريا قريب الصبح فاحترقا

ومما أحفظه ويروقنى واحبه لها :

وصيرت بدر التم مذ غاب مؤنسى أنيسى وقلت البدر منه قريب

فحجبه عنى الغمام بذيله فواعجبا حتى الغمام رقيب

ولها ديوان شعر بدار الكتب الملكية — ومن مؤلفاتها (مولد النبى صلى الله عليه وسلم) أوله : الحمد لله القديم أحده المتعالى حمده لاشريك له فى عظمة الاهيته . . الخ) وقد طبع بدمشق سنة ١٣٠١ وبدار الكتب الملكية نسختان منه (٩٨٢ ، ٩٨٣ ولها الدر الغائص فى بحر المعجزات والخصائص) وهى قصيدة رائية فى المديح النبوى — وكتاب (الفتح الخفى) يشمل على كلمات لدنية ومعارف سنية ، و (الملامح الشريفة والآثار المنيفة) يشتمل على أناشيد صوفية ومعارف ذوقية ، وكتاب الاشارات الخفية فى المنازل العلية) وهى أرجوزة اختصرت فيها (منازل السائرين) لشيخ الاسلام عبد الله بن محمد بن اسمعيل الانصارى الهروى الحنبلى الصوفى المتوفى سنة ٨٤١ وهو كتاب تصوف فى أحوال السلوك) — ولها أرجوزة لخصت فيها كتاب (القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع) لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢ — ومن أشهر مؤلفاتها (الفتح المبين فى مدح الامين) قصيدة بديعيه فى مدحه صلى الله عليه وسلم أولها :

فى حسن مطلع أقمار بذى سلم أصبحت فى زمرة العشاق كالعلم

وقد شرحتها شرحا لطيفا طبع بهامش (خزانة الأدب) لابن حجة الحموى ولها شرح على بديعية أخرى أولها :

عن مبتدأ خبر الجرعاء من أضم حدث ولا تنس ذكر البان والعلم

والتزمت فى هذا الشرح عند ذكر كل محسن من المحسنات البديعية أن

تذكر ما قاله فى بديعياتهم كل من [1] ابن جابر الأندلسى (شمس الدين محمد بن أحمد بن على بن جابر توفى سنة ٧٨٠) وقد شرح هذه البديعية رفيق ابن جابر وهو شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعينى الأندلسى المتوفى سنة ٧٧٩) (ب) وصفى الدين الحلى المشهور ، (ح) وابن حجة الحموى وهو الذى شرحها شرحا مفيدا حافلا بكتابه (خزانة الأدب (ى)عزالدين الموصلى (على بن الحسين ن على بن أبى بكر العلامة الأديب الشاعر الرقيق توفى سنة ٧٨٩)

وقد انتهت من شرحها هذا سنة ٩٢١ وبدار الكتب نسخة منه مخطوطة رقم ٥٨٣ وبآخرها ما نصه : تمت المنظومة الشريفة المباركة ، وكان الفراغ من كتابتها مع ما أضيف اليها من الكلام على ما اشتملت عليه من الانواع فى النصف من شهر ربيع الآخر سنة ٩٢١ أحسن الله تمامها بمنه وكرمه على يد المفتوح عليها بنظمها وتأليف هذا الشرح الوافى بمضمون أنواعها أفقر الفقراء الى رحمة الله المولى عائشة بنت يوسف بن ناصر الباعونى الشافعى)

١٠ - وابنها السيد تاج الدين عبد الوهاب بن أحمد كان عالما فاضلا فقيها صالحا توفى بصالحية دمشق سنة ٩٢٥ عن نحو ثلاثين سنة رحمه الله.

احمد يوسف نجاتى

الاستاذ بكلية اللغة العربية

---

(١) وقد شرح الموصلى بديعيته شرحا سماه (التوصل بالبديع الى التوسل بالشفيع) فرغ من تأليفه فى منتصف جمادى الاولى سنة ٧٨٧ ومنه نسخة بدار الكتب ضمن مجموعة مخطوطة بخط العلامة الاديب محمد الدمشقى الاصل المعروف بالبدر البشتكى الشاعر الأديب المعروف أتم كتابته فى منتصف شهر المحرم من سنة ٧٩٣ وعليها خط شيخ الاسلام الحافظ أحمد بن على بن محمد المعروف بابن حجر العسقلانى العلامة الأديب الشاعر المشهور المتوفى سنة ٨٥٢ وتوفى بدر الدين البشتكى سنة ٨٣٠

زهد أبي العلاء

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

توطئة

بواعثه : العمى ، موت والديه ، الفقر ، البيئة ، الثقافة ، الميل

مظاهره : العزلة ، رأيه فى الفطرة ، سخطه على الحياة ، العزوبة وكره النساء ، نباتى ، الجبر ، الخشونة والاكتئاب والقناعة .

الشاعر الفيلسوف احمد بن عبد الله ، بلده المعرة ، وهى قرية صغيرة فى شمال سورية بين حلب وحمص ، ولد سنة ٣٦٣ وتوفى سنة ٤٤٩ هـ فأدرك القرنين الرابع والخامس وهما أغنى عصور الأدب والعلم وأحفلها بالثقافة المنوعة .

تتلمذ فى المعرة لأبيه وأخذ عن علمائها ، ثم رحل إلى حلب يطلب العلم ، وكانت تشرق بالعلماء والأدباء والفلاسفة منذ اجتذبهم اليها سيف الدولة ، ثم سافر الى أنطاكية وانتفع بنفائس كتبها ، ثم ارتحل إلى طرابلس ، ومر باللاذقية فنزل فى دير فيها ، وتأثر براهب متفلسف هناك وأخذ عنه كثيرا من الآراء ، وبعد ذلك شخص الى بغداد عش العلوم والآداب ، ووعى ماشاء من مكاتبها ، وشارك فى نواديها العلمية والأدبية ، وأعجب به علماؤها وأعجب بهم ، وقضى هنالك سنتين لم تمح السنون من نفسه ذكرياتهما ، وكان لهما أثر فى نضج عقله وسعة ثقافته ، ثم عاد الى المعرة ولزم منزله وانقطع للتفكير والتأليف إلى أن مات .

بواعث زهده

(١)

فجع أبو العلاء فى بصره طفلا ، فشب فى عالم حالك الظلمة ، لا يميز مليحه من دميمه ، ولا قبيحه من وسيمه ، يتحسس فى وجهه ندوب الجدرى ، ويحس قصوره عن الناس ، فهم مبصرون وهو كفيف ، يسمعهم يتحدثون عن الأرض والسماء ، ويقرأ للأدباء افتنانهم فى وصف الطبيعة والجمال فتاخذه من ذلك حسرة ، وليس فى الحياة آلم من فقد البصر ، على أنه كان حساسا وشاعرا يجسم خياله بلواه ، ويمضه التفكير فى نصيبه التعس من الحياة

(٢)

ثم حرمه الموت عطف أبيه فى الرابعة عشرة ، وفقد الاب نكبة على من هم فى سن أبى العلاء ، ونكبة مضاعفة على ذى العاهة ، فقد كان أحوج إلى أبيه يعتمد عليه ، ويستند اليه ، ويعتز به ، ويتناسى فى بحبوحة عطفه آلام عماه ، ثم يستنير بتوجيهه العلمى والادبى ، فإنا نعرف أن أباه كان أستاذه الاول .

لهذا حزن عليه حزنا ملك قلبه ، فقال يرثيه :

فليت فمى إن شام سنى تبسمى فم الطعنة النجلاء تدمى بلا سن

(٣)

وبعد سنوات من موت أبيه فجع فى أمه ، فعظمت مصيبته ، وفقد ينبوع العطف والحب الذى طالما نعم به ، ووثق بصفاته وخلوصه له فهزته هذه المصيبة وهدته ؛ وزادته شعورا بضعفه ونقمة على الحياة والاحياء ،

حزن على أمه حياته ، فقال فى رثائها :

إن ينقطع منك الرجاء فإنه   سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

وقال فى رسالة إلى خاله ينعاها له « فلله الحمد ممزوجا به الدمع مستكاله من الوجد السمع » فأصحب حمده الله بدمعه ، وهـذا الحمد قد أثقله الحزن على سمعه .

(٤)

وكان فقيرا ، يغل عليه وقف لأهله ثلاثين دينارا كل سنة ، يعطى خادمه نصفها وله نصفها الباقى ، لكنه كان يستطيع أن يثرى لو أنه سلك مناذح الثروة ، وهو من أسرة علم وفضل ورياسة ووجاهة فى المعرة ، لها نسب عريق فى القضاء ، ومنها من ولى المعرة ، غير أنه كان حييا أبياً عظيم النفس لا يتكسب بالمدح ، ولا يقبل العطاء وكان إلى ذلك محسنا سخيا فإن الشاعر الفارسى ناصر خسرو زار المعرة قبل موت المعرى بعشر سنوات تقريباً وقال عنه إنه رجل عظيم الجاه فى بلده ، وذو ثروة ينفق منها على الفقراء ، ولكنه يعيش متقشفا زاهدا ، وفى شعره ونثره أدلة على أنه كان يهدى إلى بعض الأدباء ، كقوله وهو فى الخمسين من عمره يعتذر لفقيه عن صغر هدية

فياليتنى أهديت خمسين حجة   مضت لى فيها صحتى وشبابى

وقلت له : فاترك ثلاثين أسودا   متى ما تكشف تلف غير لباب

لعل الذى أنفذت يكفيك ليلة   لإسباغ طهرحان أو لشراب

٥

هذا إلى إفساد الحياة فى عصره ، وهو ذكى يدرس ويستقصى ، حساس يرى ويرثى ، درس طبائع الناس فأحسن درسها ، وبلا نفوسهم فأجاد بلاءها فلم ينتج له الدرس إلا شرا .

الدويلات الإسلامية تتحارب ، والمسلمون والروم يتبادلون النصر

والهزيمة ! والحكام يظلمون الرعية ويغتصبون أموال الناس ، والساسة خداعون جهال يستعبدون الرعايا ويستفون قوتهم وجهودهم .

مل المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

...

يسوسون الأمور بغير عقل فينفذ أمرهم ويقال ساسه
فأف من الحياة وأف منى ومن زمن رياسته خساسة

«*»

إن العراق وإن الشام مذ زمن صفران ما بهما للملك سلطان
ساس الأنام شياطين مسلطة فى كل مصر من الوالين شيطان
من ليس يحفل خمص الناس كلهم إن بات يشرب خمرا وهو مبطان

والقضاة يحكمون بالجور ، وكان الأحرى بهم أن يحكموا بالقسطاس ويدفعوا البلاء عن المستضعفين :

وأى امرئ فى الناس ألفى قاضياً فلم يمض أحكاما كحكم سدوم

ورجال الدين قد اتخذوا الدين حرفة ، واصطنعوه وسيلة إلى الكذب والكسب ، ولا أثر له فى نفوسهم ، فالواعظ ينهى عن الراح صباحا ويعاقرها مساء :

رويدك قد غررت وأنت بحر بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرم فيكم الصهباء صبحا ويشربها على عمد مساء
يقول لقد غدوت بلا كساء وفى لذاتها رهن الكساء

والخطيب الواعظ يخوف الناس يوم القيامة وهول الحساب ، وهو ينكر فى نفسه القيامة والحساب :

طلب الخسائس وارتقى في منبر يصف الحساب لأمة ليهولها
ويكون غير مصدق بقيامة أمسى يمثل في النفوس ذهولها

والفقهاء انصرفوا عن أسرار الشريعة ولبابها إلى مماحكات لفظية لا طائل وراءها:

وقالوا فقيه والفقيه مموه وحلف جدال والكلام كلوم
وحتى الزهاد كاذبون في تزهدهم

لعمرك ما في عالم الارض زاهد يقينا ولا الرهبان أهل الصوامع

وأخلاق الناس جميعهم منحلة، يفعلون القبيح والمنكر ويحيون على الخداع والغش والمكر والقسوة كما سيجيء. ولذلك ذمهم كلهم بقوله:

وجوهكم كلف وأفواهكم عدا وأكبادكم سود وأعينكم زرق

ومما يستدعى التأمل انه حمل على الأدباء وحملهم وزر هذا الفساد، وهم في رأيه الدعاة إليه:

وما أدب الأقوام في كل بلدة إلى المين إلا معشر أدباء

« ✡ »

أيما شعرت بأنها لا تقتنى خيرا وأن شرارها شعراؤها
أثرت أحاديث الكرام بزعمها فأجاد حبس أكفها إثراؤها

« ✡ »

بنى الآداب غرتكم قديما زخارف مثل زمزمة الذباب
وما شعراؤكم إلا ذئاب تلصص في المدائح والسباب

(٦)

ثم هو على ذلك كله قرأ من كتب الفلاسفة ما وافق هواه، فاشتد بغضه للدنيا، وسوء ظنه بالناس، حتى إنه لما تحدث بجفاوة أهل بغداد

بوداعه وحزنهم لفراقه وعرضهم عليه المال شك فيما فعلوا أكان رياء أو وفاء ، ونحن نعلم أنه درس الفلسفة اليونانية فى أنطاكية واللاذقية ثم ألم بها فى بغداد ثم درس الهندية فى بغداد أيضا ، وبغداد بعد فتح السند كانت تتروى من هذه الفلسفة يحملها اليها المترددون هنا وهناك للتجارة أو السياحة ويفجر جداولها أولئك الذين ترجموا عن الهندية منذ عهد المنصور ، وهى تشتهر بالزهادة وازدراء الحياة وتعذيب الجسد لتنقية الروح والشفقة على الحيوان وتقديسه فى بعض الأحيان .

ووقف على الفلسفة الفارسية ، وقد ثقفها العرب منذ خالطوا أهل فارس وترجموا عنهم ، وقد قرأ شاعرنا ماترجم عنهم فى السياسة والفلك والأخلاق والقصص ، فلما شخص إلى بغداد مازج بعض الفرس وتأثر بهم ، فليس عجيبا أن نجد الفاظا فارسية فى شعره كقوله :

إذا قيل لك اللسه مولاك فقل (آرا)

أى نعم .

على انه بعد هذا كله عالم فاحص دارس ، اطلع على الاديان كلها فدرس الاسلام والنصرانية واليهودية ، وعرض لبعض قضاياها فى لزومياته .

(٧)

لكننا نجد فى الحياة عميا فقراء مشوهين ، وهم مع هذا كله مبتهجون بحياتهم ينالون من لذاتها ، وينهلون من متعها ، فلم لم يحاول أبو العلاء أن ينال وينعم ؟ ولم سخط الحياة هذا السخط ؟ الحق إن ذلك يرجع أيضا إلى مزاجه الخاص الذى يألف الحزن ويأنس به ويركن إليه ، وتسنح له فرص الابتهاج فيفر منها فرارا ، ويرى العالم كله رزايا وأشرارا .

فقد كان بشار أعمى ولكنه جنح إلى المجانة والخلاعة ، واستمتع بالحياة ماشاء أن يستمتع .

وكان شوبنهور فيلسوف التشاؤم فى العصر الحديث بصيرا ، صحيح الجسد ، ثريا ثراء واسعا ، لكنه كان ينظر إلى الحياة نظرة سوداء كأبى العلاء ، « فالعالم شر كله ، فأينما توجهت الفيت عراكا وقتالا ومنافسة ، وليس الإنسان إلا ذئبا للانسان ، وهو تعس إذا تزوج وتعس إن لم يتزوج وخير للعالم أن ينقطع النسل وتنتهى الحياة » والحياة فى نظره « جحيم يفوق جحيم دانتى » .

ولقد تشابه الرجلان فى العزوبة ، وسوء الرأى فى الناس ، والبرم بالوجود والتجنى على المرأة .

واتفقا فى أن التشاؤم تابع من نفسيهما وإن كانا متأثرين بعوامل أخرى خارجه عن قدرتهما تتشابه قليلا أو كثيرا ، فقد انتحر والد شوبنهور واعوج سلوك أمه ، ولم يجد ما يزجى به فراغه غير النظر والتأليف ، فلم يتزوج ولم يلد ، ولم يزاول عملا يلهيه عن مآسيه ، فضجر بالحياة وسئم الناس .

على أن فساد الحياة الاجتماعية يورث نار السخط فى نفوس الساخطين فلما خاب الأمل المنوط بالثورة الفرنسية بعد زلزلة الأرض بحروب نابليون أطبقت خيام التشاؤم على أوربا ، فأن موسيه فى فرنسا وبيرون فى انجلترا وشوبنهور وهينى فى ألمانيا ، ولما فسدت الحياة الاجتماعية والسياسية فى عهد أبى العلاء رجع فى جوها الخانق نغمه الحزين

مظاهر هذا الزهد

(١)

كان لزهده مظاهر أخذ نفسه بها وتشدد فى ذلك ، فاعتزل الناس عن روية وعقيدة ، وقد اعتزم اعتزالهم بعد أن استشار أصدقاءه ببغداد قبيل

رحيله منها ، يدلنا على ذلك رسالة كتبها إلى أهل المعرة ينهاهم عن الحفاوة بقدومه ويخبرهم بعزمه على العزلة .

لكنه لم يستطع تحقيق ما اعتزم ، فالمعجبون به من الخلان والطلاب يطيرون إليه وهو لا يردهم عن مجلسه حياء منه ، على أنه عالم يستطيع أن يحبس نفسه كما انتوى ، ولم يلبث أن اشتغل بالتعليم ، ومهما يكن من شيء فقد كان لا يخالط الناس هذا الخلاط الذى نعرفه ونألفه .

أما سبب ذلك فسوء رأيه فيهم . فهم ينافقون ويخادعون ، يبدون الطيبة والنبالة والطهارة ولو اطلعت على ما فى قلوبهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا

يلقاك بالماء النمير الفتى وفى ضمير النفس نار تقد
يعطيك لفظا لينا مسه ومثل حد السيف ما يعتقد

« ✡ »

يروقك مظهرهم ويسوء مخبرهم ، وأكرمهم خلقا عبد لمنفعته ، وأشرف من أشرفهم صلداء جلمود لا تعتدى ولا تفترى

يحسن مرأى لبنى آدم وكلهم فى الذوق لا يعذب
مافيهم برولا ناسك إلا إلى نفع له يجذب
أفضل من أفضلهم صخرة لا تظلم الناس ولا تكذب

البعد عنهم نجاة من أمراضهم ، ومخالطتهم تفسد العقل لأنهم متخلفون فى الفهم ، وتلبس الدين بالخرافة

بعدى من الناس برء من سقامهم وقربهم للحجا والدين أدواء

« ✡ »

والخير في تجنبهم لتأمن شرهم ومقتهم ونكرانهم الجميل .

وجانب الناس تأمن سوء فعلهم وأن تكون لدى الجلاس ممقوتا
لابد من أن يذموا كل من صحبوا ولو أراهم حصى المعزاء ياقوتا

واللبيب الحازم من لا يكشف لهم عن سر عقيدته

لا تخبرن بكنه دينك معشرا شطرا وإن تفعل فأنت مغرر
واصمت فإن الصمت يكفى أهله والنطق يظهر كامنا ويقرر

ولا خير فى العالم كله ، وشر ما فيه ناسه

قد فاضت الدنيا بأدناسها على براياها وأجناسها
والشر فى العالم حتى التى مكسبها من فضل عرناسها (١)
وكل حى فوقهـا عالم وما بها أظلم من ناسها

(٢)

لم نقم أبو العلاء من الناس وباعد ما بينهم وبينه ؟

أكان السبب سوء خلقهم فحسب ؟ أحسب أن المجتمع الطويل العريض فى الشام والعراق لم يخل من أفراد قلة لهم خلق ودين فيرضى عنهم أبو العلاء . فلابد أن يكون هناك سبب آخر لضيقه بهم ، وانما يتصل هذا السبب برأيه فى أصل الفطرة الإنسانية .

الرأى فى الفطرة الانسانية قضية مشكلة لها تاريخ ، فما نزعات الفطرة الأصيلة ألخير أم الشر ؟

أما سقراط فقد ذهب إلى خيريتها ، فنفس الطفل كالصفحة البيضاء مستعدة لأن تتأثر بالخير والشر ، وأما فلوطين الفيلسوف المصرى فرأى أن الفطرة شر ، لأن النفس جوهر مستقل مجرد هبطت من العالم العلوى إلى العالم المادى فاصطبغت بالشر ، ويمكن التسامى بها بتصفيتها من اوضار المادة وحرمان الجسم

(١) مغزلها

من لذاته، وتجريده من زخارف الحياة، وأخذه بالصوم واعتزال الناس، وعندئذ تتهيأ النفس للاتصال بالعالم العلوى والأنس بمبدعها.

ثم كانت لهذه الفكرة دولة وصولة فى القرن الثامن عشر، فقد اعتنقها وغلا فيها اليسوعيون والينسيون حملة ألوية التعليم، فقد ألفوا الكتب وشادوا المدارس وسنوا نظم التعليم متأثرين بأن الفطرة شر، وصلاحها بالعقاب الصارم والثواب المغرى ثم شاء الله أن يزلزل روسو دعائمهم بذلاقة لسانه، وخلابة بيانه، فوصلت دعوته إلى أعماق النفوس العاقلة وكثر مؤيدوه، وكتب لرأيه النصر.

لكن كانت جاء بعد روسو فأثبت أن الطفل منذ يولد إلى أن يبلغ سنا معينة خال من الميل إلى الخير والشر لأنه لا يفكر فيما يقول أو يعمل

على أن دستورنا الصحيح الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يقرر أن الطفل يولد مستعدا للخير والشر معا «ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين» «ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها»

فمع أية وجهة من هذه أبو العلاء؟

لقد نخال أنه يصح ذهابه إلى أى مذهب إلا إلى خيرية الفطرة وهو من علمنا سخطا وتشاؤما وذما للناس وطباعهم، فالإنسان فى رأيه شرير بطبعه ومن العسير إصلاحه وكلف بهذه الفكرة يرددها فى شعره ونثره، وكلف بها يطبقها على حياته ومعاملاته، فزهد واعتزل وأعزب، وقد افتن فى ذم الإنسان وإن كان لم يبرىء نفسه من اللؤم والهوان:

إن مازت الناس أخلاق يقاس بها فإنهم عند سوء الطبع أسواء
أو كان كل بنى حواء يشبهنى فبئس ما ولدت للناس حواء

وفائدة النوم الخروج بأهله عن عالم هو بالأذى مجبول

(٠)

ولم يكن الناس يوما صلاحا ففسدوا أو أتقياء ففجروا ، انما هم من طينة الشر خلقوا .

وهكذا كان أهل الأرض مذ فطروا فلا يظن جهول أنهم فسدوا

وفى محاورته للغراب، يذم الإنسان بالجور ونكران الجميل

جريا غراب وأفسد لن ترى أحدا إلا مسيئا وأى الخلق لم يجر

نخذ من الزرع مايكفيك عن عرض وخاول الرزق فى العالى من الشجر

لو كنت حافظ أثمار لهم ينعت ثم اقتربت لما أخلوك من حجر

(٣)

تسخط أبو العلاء حياته وتبرم بوجوده ،وكان للدنيا قاليا ، لم يزل يسبها ويقرعها باللوم حتى صار أكثر الشعراء لها ذما ، لذلك تمنى للوليد ألا يولد وللحى أن يفنى :

فليت وليدا مات ساعة وضعه ولم يرتضع من أمه النفساء

بل لقد كان الخليق بهذا العالم ألا يوجد .

خير لآدم والخلق الذى خلقوا من ظهره أن يكونوا قبل ماخلقو

والدنيا حقيرة لاتستحق هذا التكالب

أصاح هى الدنيا تشابه ميتة ونحن حواليها الكلاب النوابح

فمن ظل منها آكلا فهو خاسر ومن راح عنها ساغبا فهو رابح

(٠)

لاتلبس الدنيا فإن لباسها سقم وعر الجسم من أثوابها

ولتفعل النفس الجميل لأنه خير وأحسن لا لأجل ثوابها

...

أغنى الأنام تقى فى ذرا جبل يرضى القليل ويأبى الوشى والتاجا
وأفقر الناس فى دنياهم ملك يضحى إلى اللجب الجرار محتاجا

ولهذا رأى أن نبتر هذه الحياة باعرضنا عن النسل فهو جناية على ابنائنا البرآء لأنه يلقهيم فى عالم مسجور بالشرور ، وقد أوصى أن يكتب على قبره

هذا جناه أبى عـــلى وما جنيت على أحد

(٤)

فهو لم يتزوج ، وينصح بالإعراض عن الزواج ، ولكن ماذا يفعل الرجل الصحيح الجسد إذا ألحت عليه الغريزة ؟

ايجترح إثما أم يتزوج ؟ يجيب أبو العلاء بأن له أن يتزوج وعليه ألا ينسل ، وأى عاقل يبيح لنفسه الإنسال للشقاء ثم للفناء ؟

نصحتك لا تنكح فإن خفت مأثما فأعرس ولا تنسل فذلك أحزم

وكل امرىء تجرع فى هذه الحياة كئوسا مرة ، واصطلى بلهيب الشدائد مرة بعد مرة ، فمن العدل ألا ينسل فينتقم من الأبرياء والمستورين وراء حجب الغيب

والقاك فيها والداك فلا تضع بها ولدا يلقى الشدائد والنكرا

هذه وجهة ، وثمة وجهة أخرى فالذرة تشقى

صحبتك فاستفدت بهن ولدا أصابك من أذاتك بالسمات
ومن رزق البنين فغير ناء بذلك عن نوائب مسقمات
فمن ثكل يهاب ومن عقوق وأرزاء يجئن مصممات
وإن تعط البنات فأى بؤس تبين فى وجوه مقسمات
يردن بعولة ويردن حليا ويلقين الخطوب ملومات

وهو على تحرجه من النسل رحمة بالأبناء ، وخشية من مشقاتهم كان سىء بالمرأة . بشك فى حصانتها ووفائها لزوجها :

وما تمنع الخود الحصان حصونها ولو أن أبراج السماء حصونها

***

لاتدنون من النساء فان غب الأرى مر

وكراهته للنساء جعلته يؤثر موتهن ويعتده نعمة

ودفن الغانيات لهن أولى من الكلل المنيعة والخدور

ويفضل حياة الرهبان

ويعجبنى عيش الذين ترهبوا سوى أكلهم كد النفوس الشحائح

(٥)

كان رقيق القلب رحيما . يرى أن ذبح الحيوان قسوة وعدوان ، وفيه يتم الولد أو ثكل الوالدة ، ولعله تأثر بمذهب البراهمة الذين يحرمون الحيوان ونتاجه

ولهذا المذهب النباتى فى عصرنا أنصار لهم حججهم ، ولخصومهم ردود وحجج ، ومن المناسب أن نلم ببعض مايتذرع به النباتيون فى إعجال ، هم يرون أن أمعاء الانسان طوال ولكن أمعاء أكلة اللحوم قصار لئلا يطول مكث اللحم بها فيتعفن ويضر ، وأن فى النبات العناصر الغذائية كلها ، وإن الاقتصار عليه ينجى من أمراض قد ينقلها الحيوان ، وأن ذبح الحيوان قسوة وعدوان ، وحرمانه نتاجه ظلم وجشع ، ثم أن النبات أرخص من اللحم .

اعتنق أبو العلاء هذا المذهب خمسا وأربعين سنة عن عقيدة ، ودعا غيره مرارا فى شعره إلى متابعته ، فنهى عن أكل السمك واللحم والبيض والطير وعسل النحل لأن ذبح الحيوان تعذيب ، واغتصاب نتاجه ظلم :

فلا تأكلن ماأخرج البحر ظالما ولا تبغ قوتا من غريض [1] الذبائح

---

(١) طرى .

ولا بيض أمات أرادت صريحه لأطفالها دون الغوانى الصرائح [١]

ولا تفجعن الطير وهى غوافل بما وضعت فالظلم شر القبائح

ودع ضرب [٢] النحل الذى بكرت له كواسب من أزهار نبت فوائح

فما أحرزته كى يكون لغيرها ولا جمعته للندى والمنائح [٣]

***

لا أفجع الأم بالرضيع ولا أشرك هـذا الفرير [٤] فى اللبن

عاش نباتيا يمنع نفسه اللحم، ولا يشرب اللبن ولا يذوق الجبن ولما مرض مرضه الأخير أشار الطبيب أن يطعم فروجا ليتقوى به فلما قدم إليه أمسكه وقال: استضعفوك فأهانوك، هلا قدموا شبل الأسد

لكن المعرى لم يحرم الحيوان ونتاجه تحريما، وكيف وهو يعلم أن الله أحله؟ ويعلم أن الحيوان يتكاثر مطردا فلو خلى وسيب لضاقت به الارض بما رحبت ولنفدت الأقوات؟ إنما استبشع ذبحه والسطو على ثمراته، ورحمه ورأف به، وعسى أن يكون قد أراد بذلك حسن المثوبة، ودليلنا على أن الباعث الرأفة وحدها قوله:

تسريح كفى برغوثا ظفرت به أبر من درهم تعطيه محتاجا

وسئل عن تحريمه الحيوان وقد أحله الله فقال إنه تركه زهدا ورحمة.

ورد على من ادعى أن ترك اللحم ذميم بقوله: «ولو أخذ بهذا المذهب لوجب على الأنسان ألا يصلى صلاة إلاماافترض عليه لأن مازاد على ذلك أداه إلى كلفة والله تبارك وتعالى لا يريد ذلك ولوجب أن الذى له مال كثير إذا أخرج عن الذهب ربع العشر لا يحسن به أن يزيد على ذلك...

فهو يعرف أن الله تعالى احله وأباحه ولكنه يتوقى عواقب الذبح واغتصاب النتاج.

(١) الحسان (٢) العسل الأبيض الغليظ (٣) العطايا (٤) ولد البقرة والنعجة والماعز

وله دفاع نثرى عن رأيه هذا كنت أريد أن أثبته هاهنا لولا الإطالة وبعد فقد لقيه رجل فسأله: لم لا تأكل اللحم؟ قال: أرحم الحيوان قال فما تقول فى السباع التى لا طعام لها إلا لحوم الحيوان؟ فإن كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه، وإن كانت الطبائع هى المحدثة لذلك فما أنت بأحذق منها» فسكت

٦

كان لا بد لهذا الشاعر الفيلسوف المرزوء المتبرم أن يدين بالجبر، ولعله سائل نفسه لم هذه الفوضى الضاربة فى أعماق المجتمع؟ ولم هذا التباين بين أفراده وطبقاته؟ وهل تخير الأشقياء فى حياتهم الشقاوة؟ ثم هل آثر هو لنفسه البلوى والعمى والفقر والقبح وفقدان النصير؟

أما لو بوده لنعم بنور عينيه او سعد بثروة واسعة واختال فى برد الجمال ولكان ظهيرا ونصيرا لكل ضعيف وفقير، ولكن هكذا اختير له وهكذا وجد نفسه، ولا حول له ولا طول فى تغيير الواقع وإن جهد، فما بال الناس يجهلون الحق ويجحدون الواقع فينكرون انا مسيرون؟

آمن بالجبر ونص فى مقدمة اللزوميات انه مجبر على نظم هذا الديوان وانه الفه بتأثير قوة لا يعرف حقيقتها وكرر الجبر فى مواضع شتى، واحتج له، وعزا إليه كل عمل فنحن نستهل على الدنيا بغير اختيار ونفارقها على اضطرار

المرء يقدم دنياه على خطر بالكره منه وينآها على سخط

❀❀❀

ما باختيارى ميلادى ولا هرمى ولا حياتى فهل لى بعد تخيير

❀❀❀

خرجت إلى ذى الدار كرها ورحلتى إلى غيرها بالرغم والله شاهد

فهل انا فيما بين ذينك مجبر على عمل ام مستطيع فجاهد

٧

(١) وهذا النظام القاسى الذى التزمه أبو العلاء حمله على الشظف من العيش والخشن من الحياة فقنع بما نالت يداه

قنعت نخلت أن النجم دونى وسيان التقنع والجهاد

لم يجالس الناس على مائدة ولم يره الناس يأكل لأنه كان إذا أراد الطعام آوى إلى نفق له فيأكل فيه . وكان طعامه العدس وحلواه التين

يقنعنى بلسن يمارس لى فان أتتنى حلاوة فبلس

(٢) وكان يلبس ثياب قطن غلاظ ، ويفترش اللبد فى الشتاء وحصر البردى فى الصيف

(٣) وجانب الخمر وحرمها عقلا ودينا وصحة وألف فى ذمها كتابا سماه (حماسة الراح)

يابدوى اتق المدامة إن الـ خمر باتت كثيرة الأبن

آليت ماسمحت أخا بخل يوما ولا شجعت أخا جبن

(٤) وقضى حياته متزمتا مكتئبا يرى أن الضحك جنون

وضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

(*)

فافرق من الضحك واحذر أن تحالفه أما ترى الغيم لما استضحك انتحبا

احمد محمد الحوفى

المدرس بالمدرسة السعيدية الثانوية

ولن تعـــــود !

للأستاذ خلف القاضى

المدرس بالناصرية

قال صاحبى : لم أختر يوم السفر . ولا رقم القطار . ولا وقفة الرصيف وإنما أكرهنى الليل الظلوم ، على الرحيل ، ودفعتنى قوة خفية غلابة ، فيها خوف ، وفيها رجاء .

ركبت القطار ، ودخلت الديوان ، وتوسمت الرفاق ، فرأيت رجلا وشابا وامرأة وفتاة .....

عبس الفتى ، وافتر ثغر .... حين اتخذت مجلسى بينهم ، وسار ابن البخار مجدا ، يحمل الشوق والأمل ، إلى الحاضرة ، وتلفت إلى الغرب من النافذة ، فرأيت القمر ، يسير فى بحر من سمائه ، ويلقى بشعاعاته على صفحة النهر ، وأبصرت الأشجار ، وهى تتواثب رأى العين ، والقرى تتخلف عن الركب حتى .....

ثم طوى الأفق وجه القمر ، فأسيت لفراقه ، وحزنت لغيابه .،.. وبقى النور الأزرق ، ليدل علينا ، وما كنت أدرى أن القمر الثانى تحجب محياه بالغلالة ، حتى اهتز القطار عنيفا ، فسقط المتاع ، فريعت الظعينة ، وانزاح الستر عن إلهة الصيد « ديانا » وهتفت بدعاء جميل !.

أرأيت إلى الكشاف حين يساطع شعاعه ؟.

أرأيت إلى المغنسيوم ، حين يتوهج ضياؤه ؟.

صفاء ولا ماء ، ولطف ولا هوا .

ونور ولا نار ، وسكر ولا خمر .

هكذا كانت مقصورتى ، فيض من النور ، ومد بالحبور ، وهزج بالحياة بعد الركود ، ومقام يحلو بعده النشور ...

وجرى الحديث لينا وادعا ، ثم تلون عنيفا مؤثرا ، فتركنا لازيس ، زمام الكلام ، فقصت الأفانين ، وروت الشجون .

أرأيت إلى النفاثات فى العقد ؟!.

أم سمعت حديث السلاف بنت الحقب؟!.

لقد كنا نستمع إلى وحى الفن ، من الهة اليونان : فينوس !

ونظام الحكم ، وخفايا الحرب ، من فاتنة الزمان : كليوباترة !.

وألحان الهوى ، تزجى إلى كيتاهور الامير المصرى من ملكة اشور

وفلسفة الايام تروى الى شهريار ، من فتاة بغداد !.

قال صاحبى :

وأسرع الزفوف فى السير ، ثم وقف ليستأنف السرى ، فدل الضوء على باعثه ، ونم الزهر عن شذاه ، وتهافت الراحلون على الديوان ، كالفراش ، أو الهيم العطاش ، على مورد الماء ، وأمسى المكان كشكنة النحل ، ونحن اليعاسيب ، نذود الغزاة ، أو خط ستالين ، ونحن الحماة ، أو هيكل المعبد ، ونحن حراسه ، أو تمثال الحرية ، ومصطفى وفريد ، من هواته ، أو أثر شريف والصحب من رواته ، أو ينبوع حلوان ، وأنا وأنت من سقاته ...

وسكن الليل ، وهجع الرفاق ، ونامت الفتنة ، وسكن الهزار ، وتوارى المصباح ، وبات شهريار ، يقظان ، يحرس الصنم ، ويطرد الأشباح الحمر ، حذر أن

تزور رأسها الوسنان ، ويحصنها بالتعاويذ، من حرب السماء ، ويدرأ عنها عادية البرد ، من النافذة والباب ،

لك الله ياقلب ! أهذه ليلاك التى وقف عندها الأمل ؟

وتغنى بها قيس وإدور فى البيد والحضر ؟

نعم .... ولكن باعد القدر !.

ثم أيقظها الظمأ ، فاستسقت والماء عزيز المنال ، فناديت موسى ، وطلبت عصاه ، وتمت المعجزة ، فالتقى الماء على أمر قد قدر ! . . .

وقالت : لم لم تنم ، وكل الصحب زاره الكرى ؟

قلت : طيف ألم ، وروح تلاقى بروح ، وفؤاد أرسل ، وجهاز استقبل .. وعهدى بالظبيات أن تسكن القاع

قالت : عدا المغير على الكناس ، فهربت جارة الوادى ، إلى الريف النائى تنشد السلوى ، وتلتمس السلام !.

واليوم ! دعا الطير اليفه ، وتاقت الحمامة إلى الوكر !.

قلت : لم نسمع قصة من شهرزاد ؟ !.

قالت : ادركنى الصباح

قلت : أهذه ليلة القدر ، أم ساعة النصر ؟ ،

قالت : بل عرش بلقيس يحف به سليمان .

قلت : أو ليلة الاسراء ، أو وعد الكليم فى طور سيناء !

قال صاحبى :

وترفق القطار حين اقترب من القاهرة وأخذنى حتى تخاذل من شدة الاعياء وتثاءب فانساب الناس.قلت : قفا نبك . قبل الوداع !.

قالت : إن السماء توارت بحجاب من الغمام ، والندى متحير فى عينيك والمنى بين يديك !.

قلت : متى أراك فى عش الخميلة ، على ربا النيل ؟ . قالت : أنا من حمام عين شمس ، ولست من الزاجل الذى يحل صيده فى الحرب ! .

قلت : هل تذ كرين ؟ ؟ ؟ .

قالت : إنها ليلة من ليالى بغداد ! .

أو حلم ، ينسب إلى شهر زاد ! .

قلت : سيظل شهريار فى الانتظار ، ليسمع القصة التالية

قالت : هيهات ! ! ! .

قد كان قبل ذلك مرة . . . فاليوم . لا ! . ذهبت مع الريح ، ولن تعود ! ! ! ؟

(طبق الاصل)

خلف القاضى

المدرس بمدرسة الناصرية

نفثات شاعر

« قد تصور اللمحة الخاطفة ما لا تصوره النظرة الدائبة ، وقد حاولنا أن نجلو في هذه اللمحات بعض ما يعتور النفس من حالات » .

للأستاذ علي عبد العظيم

أشعر الشعراء

لو كانت الألفاظ تسعفني بما ... يحويه صدري من شعور زاخر
لجعلت هذا الكون أمرح أيكة ... تشدو عناد لها بلحني الساحر
وأفضت من قلبي على الدنيا سنى ... متوهجا وغدوت أشعر شاعر

كبرى العجائب

تمردت فوق الأرض يا نفس فاهدئي ... ولا تذهبي في العجب شتى المذاهب
فما أنت الإذرة فوق متنها ... وما هي الإذرة في الكواكب
وما عمرك الممدود إلا طفاوة ... بلجة هذا العيلم المتراكب
عجائب هذا الكون شتى وفتنتي ... بهيمنتي في الكون كبرى العجائب

ثمن قلب

أجل كان لي بالأمس قلب رفعته ... إلى منزل فوق السماك منيف
وبالغت في تقديسه وغلوت في ... صلاتي لدى محرابه وعكوفي

فساو منى المقـــدار فيه . وغاظه جموحى على أغـــلاله وصدوفى
فمـــا زال يرمينى بوقع سهامه ويلحف حتى ناله بطفيف
فلا تسألونى أين قلبي ؟ فإننى على الرغم منى بعته برغيف

إخفاق

اقنع بيأسك يافـــؤاد فإنه أحنى وأرفق من رجاء خائب
واقنع بأنك مخفق أخـــلاقه صدته عن نيل النجاح الـكاذب

كبرياء

لقيت من الأسى ما آد متنى وعـــرفنى أفانين الشقا
فلم أر بينهن أمر مما تذل به الحوادث كبريائى

فى غمار العيش

مشرد فوق أثباج الأسى واه ماذا أدخرت له يارحمـــة الله ؟
دفعته فى غمـــار العيش منفردا بلا رصيد ولا أيد ولا جاه
فعاش ماعاش : لاظل ولا سكن كانه نفثة فى صـــدر أواه
قلب طموح وحظ عاثر نكد فآه مما أعانى منهما آه

نذير

منحتك قلبا مرهف الحس ساميا فأعرضت مزهوا بحسنك لاهيا
وفاتك أن الحسن فان ، وأن لى من الشعر فى حبيك ماليس فانيا
رويدك لاتطمس بدلك طلعة أحلتك عرشا فى الجوانح عاليا
تمتع بحبي قبل أن تعبث النوى بوجدى وتستعدى عليك مضانيا
فتفقد ملـكا لست تملك مثـــله وتبصر عرشا من عروشك هاديا

لو

لو كان لى ألف قلب ماقر فيها سواك
أو كان لى ألف عين ما أبصرت إلاك
فانت أنت حياتى وأنت أنت ملاكى
حسبي من العمر أنى أنال بعض رضاك
وأقبس الشعر مما توحى به عيناك
فإن قضيت فحسبي بأن أكون فداك

إيمان

مازلت فى فلوات الشك معتسفا موزعا بين إنكار وإيقان
إذا التقين طوانى فى مدارجه تغلغل الشك فى أعماق وجدانى
حتى تجلت أمام العين بارقة من نور وجهك كانت بدء إيمان

امل

ياليتنى أحيا بقلة شامخ وعر المسالك مقفر العرصات
أصغى إلى نفسى به وأنال من وحى الطبيعة أبدع النفحات

بكاء

بكيت ، وإن لم تستهل المدامع فقد تجمد العينان والقلب دامع
وطاولت ماطاولت والله عالم بما تنطوى منى عليه الاضالع
سكنت سكون القبر فى وحشة الدجى أطلت عليه فى الظلام الفواجع
وأذعنت حتى يبلغ الخطب شأوه ويصنع بى الرحمن ماهو صانع

ابتسام

غمرتنى الحياة بالآلام ومحت ومضة الرجاء أمامى
بيد أنى وثقت بالله حتى لا أبالى بسلمها والخصام
فلترعنى بما تشاء فإنى أتحدى خطوبها بابتسامى

على عبد العظيم
مدرس بفؤاد الأول الثانوية

مسرحية

الوفاء بالعهـــــــد

(٢)

تاريخية ، ادبية ، خلقية

مثلت على مسرح مدرسة الزقازيق الثانوية سنة ١٩٤١

للأستاذ محمد سليمان صالح

الفصل الثاني

المنظر : بناءان بينهما طريق - مقاعد ملكية - وصيف - سياف سرحان القزم - جنود تسمع موسيقى حزينة

جنود (منشدين بتهديد) ومعهم الموسيقى : ويل لمن جاء هنا ويل له ويل له

عز على النفس جنى ماباله ويل له

ومن رماه جده ويل له ويل له

اليوم بؤس كله من يبدحل قتله

سرحان (فى حركة) : ظلم له قتل له سيف له نطع له

الوصيف : هاهوذا أحد جلساء الملك قدم ، وسوف يتلوه ركب الملك ووزرائه فالويل ثم الويل لمن رماه جده . فمر من هذا المكان بين هذين البناءين

سرحان (فى حذر) : والله لا أمر بينهما . ولو ضاعت على الأكلة الموعودة من لحم الجمل الأحمر

السياف (مهددا) : ربما حدثتك نفسك الأمارة بالسوء أن تعرضها على هذا السيف فوق هذا النطع !!

سرحان (محذرا) : نفسى تحدثنى أن أمرا جللا سيحدث اليوم وهذا الأمر قد يفوت على سرحان ماجاء من أجله . أكلة سمينة دسمة !!

الوصيف (همسا) : لقد سمعت الملك أمس يتحدث عن القراد بن أجدع فى لهجة الغيظ والحنق

سرحان (مستبشرا) : وإن سرحان ليود لو شرب من دم اليوم جاما يترك القلب فى سرور وجذل . ولو ضاع لحم الجمل . فهل تراه قاتله اليوم ؟

الوصيف (فى عجلة) : هذا هو القراد بن أجدع قد أقبل

سرحان (مرحبا) : تعال ياسيد القوم . أين لحم الجمل ؟

القراد (هازئا ضاربا على قفاه) : ألم تكف عن هذه الثرثرة أيها الذئب الأحمق ؟

سرحان (فى حنق) : لأن أكون ذئبا خير من أن أكون ثعلبا ماكرا

(يضحك هزءا)

القراد (مهددا) : إن الثعلب قد ينجيه لطف احتياله . فأما أنت فسوف تحل عليك النقمة

سرحان (مشيرا اليه) : ستحل على نقمتك وربما حلت نقمة من هو أقدر منك على من هو أقدر منى والله لأشكونك إلى شريك بن عمرو ، مالم ترضنى بأكلة مضيرة أو قطعة من عنق جمل تخلطها بثريدة أو عصيدة

القراد (مشيرا) :صه وأنا أكفيك مئونتك يومين من لحم الجمل

سرحان (مطرقا) :لن أنبس ببنت شفة بعد الآن (هامسا) ويل له ويل له لعله لعله .

الوصيف (رافعا صوته) : الملك !! الملك !!

الجند (يغنون بالموسيقى) : عاش المليك المرتضى رب الخورنق والسدير
هو للبلاد المرتجى يحميه مولانا القدير
عاش المليك عاش المليك

النعمان (داخلا) : من ذا تحدثه نفسه أن يمر فى هذا اليوم . يوم البؤس والنحس ، بين هذين البناءين ؟ لقد بنيتهما على قبرين، الثاويان فيهما كانا أعز الناس عندى . نديماى قتلتهما فى ساعة نحس ، فجعلت يوم قتلهما يوم بؤس وقتل ، لأرضيهما فى مقرهما . والله لو مر من هنا أبى المنذر بن ماء السماء ، لأريقن دمه على هذا ولأروين هذين القبرين من دم عنقه (يجلس وحوله حاشيته) أيها السياف !

السياف (فى خشوع) : لبيك ، أمر مولاى

النعمان (فى غيظ) : مد نطعك واقبض على سيفك ، لقد مضى ثلث اليوم ولم نرو غلتنا من دم الذين يقودهم حتفهم إلى هذا المكان .

شريك (فى يمين الملك) : لقد تعارف الناس يوم بؤسك أيها الملك . فهم يتحاموون أن يمروا من هذا المكان .

القراد (من يسار الملك) : ولكنهم فى يوم نعيمك يأتون زرافات ووحدانا فينالهم رفدك .

سرحان (فى استعطاف) :ياشريك ابن عمر ! قل للملك يقتل القراد بن أجدع فقد وعدنى أكلتين فى يومين . فلم يوف بواحدة منهما .

القراد (ضجرا) : لما يمض على وعدك ساعة أيها الذئب .

سرحان (فى قلق) : ومتى عرفت أن بطنى يسكت عن طلب اللحم ؟ حتى تمهلنى إلى غد وبعد غد ، غد عيوب وأسرار وأقدار .

النعمان (مرتاحا) إنك أيها القزم لتعبر عن أمنية هى أعز أمانى الملك

شريك (فى تؤدة) : سوف يوفى ما وعدك به ياسرحان . وأكلة لاتستوجب القتل .

سرحان (متعجبا) : إنكم تقتلون الناس اليوم بلا ذنب ، وهذا القراد عليه ذنبان إخلاف موعده معى · وغضب الملك عليه . فهل تكيلون بكيلين ؟

الوصيف (داخلا) : أبيت اللعن أيها الملك ! هذا عابر سبيل بدا اغرض هنا

النعمان (فى بشر) : على به · نورده إلى السياف ؛ لنستفتح به . فيزول عنا مانشعر به من الضجر

سرحان (فى عجب) : ويل له ويل له لعله لعله

الوصيف (يجد غريبا) : أبيت اللعن أيها الملك ! هذا هو القادم

النعمان (ملتفتا) : ممن الرحل ؟ وإلى أين يقصد ؟

الغريب (خاضعا) :أريد بلاد العجم لتجارة لى تأخر وصولها شهرا . وقد اعتادت البعير سلوك هذا الطريق ، فسلكته ، لعلى ألتقى بتجارتى وجمالى .

سرحان (فى ولولة) لعله لعله ويل له ويل له

النعمان (غاضبا) ولكن هذا يوم بؤس ، وكل من مر فيه يقتل . فما بالك جرتك منيتك إلى هذا المكان

الغريب (مستسلما) وإذا المنية أنشبت أظفارها

ألفيت كل تميمة لاتنفع

النعمان (فى حزم) أيها السياف !! جزعنقه (السياف يجر الغريب وهو يتمنع)

الغريب لاذنب لى . لاذنب لى . فمن أدرانى أن هذا يوم بؤس النعمان ؟ (السياف يجره بشدة) ومن يدرينى أنك النعمان وهؤلاء وزراؤك ؟ لعلكم صعاليك أوقطاع طريق (يمتنع من السير)

السياف (فى غلظة) هيا إلى النطع أيها الشقى ! (يخرج به على الرغم منه)

سرحان « أسفا » لاذنب له لاذنب له (مشيرا الى القراد) ذنب له ذنب له هذا القراد ماله - يوم له - يوم له - إنى أود قتله - ياويله ياويله

شريك (متهللا) لطالما لهجت الالسن بذكر عطفك أيها الملك حينما قربت بين زيد بن عدى وكسرى ، فوصلت ماكان مقطوعا منذ مات أبوه ، وكان ذا حظوة عند كسرى

النعمان (راضيا) إنما كان ذلك بتوفيق من الله ، لأرد على أبيه عدى نعمة أسداها إلى إذ قرب بينى وبين كسرى بعد موت المنذر أبى

القراد (فى لهجة المديح) ليتك حفظت لعدى نعمته ، ولم تسجنه ولم تأمر بقتله ، حين علمت أن كسرى طالبك ملحا باطلاق سراحه .

شريك مالك ولهذا ياقراد ؟ وما شأنك بزيد وعدى ؟

سرحان (شامتا) لسانه قذى له ويل له ويل له

الوصيف (متمهلا) ابيت اللعن ايها الملك! قادم غريب يسأل عن الملك النعمان

النعمان (فرحا) ساقه حتفه فالى السيف والنطع ، ليلحق بسابقه

الوصيف (فى تؤده) ابيت اللعن ايها الملك! إنه يزعم ان له دالة على الملك وقد حضر ليلقاه

النعمان : (هازئا) إلى بهذا الذى يزعم أن له عندى منة .
ماذا تكون منته ؟ ارفعنى إلى سرير الملك ؟

القراد (مشيحا) ليتك رعيت عهد من رفعك على العرش ! !

سرحان (فى سخط) لعله لعله ويل له ويل له

(يدخل الطائى الذى ضيف الملك فى الفصل الاول)

النعمان (فى دهشة وعجب) او انت ذلك الطائى الذى نزلت به ليلة ضل بى حصانى ولم اهتد الى اصحابى ؟

الطائى (فى تؤدة) نعم انا ذاك ايها الملك الكريم .

النعمان (مفكرا) ولماذا اخترت ان تجيئنى فى هذا اليوم يوم البؤس الذى لاشفاعة فيه ولا رحمة ؟ لقد وجب قتلك

الطائى (فى فزع) : وجب قتلى ؟ من ؟ أنا ؟ ولم؟ مولاى ! أنا الطائى!!

النعمان (آسفا) : هلا قدمت فى غير هذا اليوم فأصلحنا من شأنك؟

الطائى : ومن أدرانى بهذا اليوم ؟ إنى لا أعلم أنه يوم بؤسك ولاذنب لى فأقتل .

النعمان (جادا) : لقد جاء بك حتفك . فلا نجاة لك اليوم (بعد برهة)

فاطلب من المال ماتريد ؛ فإنك هالك لامحالة .

الطائى (مطرقا) : ومايغنى المال مع الهلاك ؟ أطلقنى ولاشأن لى بمالك ، وأن لى لشأنا مع عشيرتى التى قذفت بى إلى المهالك (ثم يغنى مع الموسيقى) . (جاثيا)

يامليكا أرتجيه فى ملمات الزمان

جئتك اليوم وإنى أبتغى ألا أهان

جئتكم فى يوم بؤس لست أدريه فكان

فاصرف المكروه عنى واحبنى منك الأمان

إن خلفى لأناسا عزهم بعدى هوان

فاذا أخلفت ظنى ... ...

النعمان (مصمما) : أما إطلاقك فمحال (صاخبا) فورب الشمس والقمر واللات والعزى لو صادفنى اليوم ، ابنى قابوس ، أو أبى المنذر بن ماء السماء لسفكت دمه . (يسكت قليلا ثم يقول فى هدوء) فاطلب ماتريد أن يصل إلى أهلك مرافقا خبر نعيك فموتك الساعة محتوم .

الطائى (فى بأس) : أما إذا كان قتل ولاعودة . فإنى أطلب أن تمهلنى حتى أصل إلى أهلى . فأستوصى خيرا بزوجى وبنى ثم أعود . وقد استسلمت للموت والقتل ،

النعمان [وقد برق الأمل فى وجهه] : ومن يضمن لى عودتك ؟ إنه لاسبيل إلى ذلك إلا أن يتقدم أحد الحاضرين فيضمن أن تعود فى الوقت الذى تفرضه على نفسك ، فإذا حل الموعد المضروب ولم تعد . وقفناه بين السيف والنطع وقطعنا رأسه .

الطائى [يتفرس فى وجوه الحاضرين حتى يعرف شريك بن عمرو]

ياشريكا يابن عمرو يا أخا من لا أخا له
ياشريكا يابن عمرو هل من الموت محالة ؟
يا أخا النعمان فك اليوم ضيفا قد أتى له
نح عنى السيف أخلص وحبائى لن أناله
ودع النعمان يفعل بعد هـذا مابداله
لاتذرنى فى البرايا اترك ابنى لا اباله

شريك [منحيا وجهه وقد تمامل كثيرا]: لن أضمن أن تعود ولست آمن بطش الملك بالله ابحث عن غيرى .

القراد [يقف فى شهامة] : أبيت اللعن أيها الملك ! ضمانه على . على ضمانك يا أخا العرب فما المدة التى تكفى لذهابك وإيابك ومكثك بين أهلك ؟

الطائى [منتفضا] : عام . عام واحد . ولكن من أنت أيها الشهم ؟ فما رأيتك قبل اليوم ؟

القراد [فى جرأة] أنا القراد بن أجدع فاخرج ولاتتزعزع
واستوص بالأهل خيرا إن الفتى ليس يخدع

سرحان [ناصحا] لقـد نجوت فعجل كن العقاب وامنع

النعمان [مرتاحا مستبشرا] : فلينصرف اخو طيء ولا بأس عليه . اما القراد فقد سعى إلى حتفه بظلفه [عرضا] ولا اظن فى الناس من يعود الى هلاكه بعد الظفر بنجاته . اعطوا الطائى خمسمائة ناقة والف درهم وحلتين له وحلتين

لابنه مالك ومثلها لابنه بدر وحصانى الذى كنت اركبه لأبنه مالك . وليعد إلى اهله فى غبطة وسرور

الطائى (فى انشراح) : يمينا لنعم السيدان الملك والضامن . وعلى الوفاء فوعد الحردين وقد وعدت وإنى لموف بوعدى

[يخرج الطائى]

سرحان (مسرورا) نجا الفتى فويله إن عاد ثم ويله لكنما ضمينه ويل له ويل له

النعمان (هادئا) : قد اشتفت نفسى وانتهى يوم بؤسى فهل من حاجة ؟

شريك (متملقا) : أبيت اللعن ايها الملك إن خيراتك فى نعيمك لتمحو ما تأتيه فى يوم بؤسك فطالما اغنيت واسعدت وأنعمت فأفدت .

الوصيف (داخلا) : ابيت اللعن ايها الملك ! إن وجوه المملكة يا مولاى قد اجتمعوا فى الخورنق . وهذا رسولهم يستأذن فى مقابلة الملك .

النعمان (باسما) : ليدخل رسول الخير ، فلعل فى جعبته ما يسر

(يدخل الرسول)

الرسول (محييا) : عم صباحا يا ملك الجزيرة

النعمان (باشا) : أنعم استصباحا أيها الرسول ماوراءك ؟

الرسول (بهدوء) : كتاب جاء من كسرى ، يستدعى فيه الملك ، ليستشيره فى بعض الشئون .

القراد (متجهما) : ولابد من الاسراع فى اجابة الدعوة ، فكسرى لا يرد له طلب ولا ترفض له مشيئة .

شريك (فى حيطة) : وعندي أن التمهل خير وأولى ! فربما أفسد ابن عدي

مابينك وبين كسرى ولا تنس أن له ثأرا عندك .

القراد (مطمئنا) : أبيت اللعن أيها الملك ! إن زيد بن عدى لا يغدر .
وهو يحمل للملك كل تجلة وإكرام ، ويحفظ معروفه
مدى الزمان .

النعمان (بعد روية) لقد انتهى يوم بؤسنا، فهيا بنا إلى الخورنق لنستشير
وجوه المملكة وعيون البلاد فى هذا الشأن الخطير،
وسوف أعمل على إرضاء كسرى واستمالته بعد أن
أحادث رسوله ، فلعلى أستشف منه كنه مايريده
كسرى .

شريك (فى ثوب الناصح) ينبغى أن تقدم له من الهدايا ماتقر به عينه ، وقدم
لهذا الرسول مايلهج لسانه بالشكران ، ما هو
إلا رسول كسرى أنو شروان ، فاستمل اليك
كسرى ورجاله ، ولتكن الهدايا سبيلك إلى رغباتك
واللهى تفتح اللها .

القراد (فى ضجر) ولا بد من تنفيذ مشيئة كسرى والرحيل إليه إن
طوعا وان كرها فهو الملك الاكبر ، وكلنا حاشيته
وصنائعه

النعمان (فى هدوء) لعل فى هذا الكتاب مايسر النفوس فلا يزعج أحد
وتيامنوا فاليمن أقرب إلى نفسى . إنى لم آت مايغضب
كسرى .

القراد (مستخفا) ومن أدراك أنه غاضب ؟ (مستهزئا) فقد يكون فى
حاجة إلى رأيك السديد !!

شريك والحذر أولى .

وحسن ظنك بالأيام معجزة فظن شرا وكن منها على وجل

الوصيف (فى سرعة) أبيت اللعن أيها الملك ! ! رسول آخر من المجتمعين فى الخورنق .

النعمان (فى اضطراب) أدخله علينا . فماذا جد حتى يقدم رسولان ليس بينهما ساعة كاملة ؟

الرسول « يدخل ويحيى » عم صباحا ياملك العراق ! وصل الساعة زيد بن عدى مع رسول من رسل كسرى ، وهما يحملان كتابا كريما من كسرى .

شريك « متخوفا » لابد أن يكون قدوم زيد من لدن كسرى لأمر جلل !! وإنا لم نتعود من كسرى مثل هذا . رسول بكتاب، ثم رسولان أحدهما زيد ؟ ومعهما كتاب كريم ؟ إن هذا لشيء عجاب .

القراد « فى طمأنينة » إن كل ما يأتى به زيد لن يكون إلا خيرا، فزيد جمع من الخلال الكريمة افضلها وأسماها

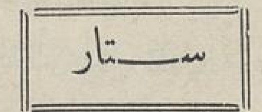
النعمان « ذاهلا » وقد قربت بين زيد وكسرى ، ومن البعيد انه قام بسعاية او وشاية تفسد ما بينى وبين كسرى .

شريك « مخرفا » ولكن الصدور الحانقة لا يؤمن جانبها ، وإنى لأتوجس شرا من قدوم زيد . واخشى ان يكون لهذا القدوم سر خفى .

القراد « يطمئن » لا خوف من زيد ، ولا تتوجسوا منه شرا ، فخلا له

تأبى عليه الايقـاع بك ايها الملك وأنت رب نعمته »

النعمان « ينهض من مجلسه » هيا بنا لأرى وجوه بلادنا وأرى الكتاب مستطلعاً آراءهم والله يلهمنا الصواب (يسير)
هيا بنا — إلى الخورنق . (يخرجون)



« يتبع »

محمد سليمان صالح

٣ - النقد اللغوي

للأستاذ على السباعى

المدرس بدار العلوم

ذكرت فى مقالين سبقا شروط النقدى اللغوى ومايجب أن يتهيأ له الناقد من استقصاء البحث فى المعاجم المتداولة بين الأيدى ومطالعة كتب الأدب المشهورة ليكون علما فى نقده ثبتا فى علمه إن صوب أو خطأ وصححت فيها كلمات جرت بها أقلام الكتاب وانطلقت بها ألسنة الأدباء فتناولها الناقدون بالتخطىء اعتمادا على إغفال المعاجم إياها وقد مضت مدة طويلة على هذا التصحيح ولم يطعن فيه طاعن أو يوهنه قارىء فاستقر الرأى على الأخذ به ولفت النظر عمن يمحونه أو يعيبون به الأدباء وهذه الكلمات هى :

١ — عمـة .

٢ — التحق .

٣ — بواسل جمع باسل صفة لمذكر عاقل .

٤ — زاد عن والمشهور الكثير المثبت فى المعاجم زاد على .

٥ — عديد بمعنى كثير .

٦ — تبدى بمعنى ظهر .

٧ — ساهم بمعنى شارك .

٨ — صارح متعدية بنفسها .

٩ كسول وصف المذكر لاخاص بالمؤنث كما يوهم كلام المعاجم .

١٠ – بشوش بمعنى طلق الوجه ونصحح هنا كلمات أخرى معتمدين على نصوص أدبية ساقتنا إليها المصادفات فقرأناها فى كتب الأدب أوعثرنا عليها فى ثنايا المعاجم فى غير موادها وأرجو أن ينتفع به .

١١ – التحف السماء : ينكر بعض الناس تعدى التحف بنفسه فيخطىء الناشئين والشادين وقد يتعداهم إلى تخطئة عبد الملك بن أدريس الخريرى وقد نشد بين يدى المنصور بن أبى عامر فى ليلة يبدو فيها القمر تارة ويختفى بالسحاب أخرى .

أرى بدر السماء يلوح حينا ويبدو ثم يلتحف السحابا
وذاك لأنه لما تبدى وأبصر وجهك استحيا وغابا

ولكن الميدانى المتوفى سنة ٥١٨ ﻫ يقول فى كتابه مجمع الأمثال عند شرح المثل (العود أحمد) أول من قال ذلك خداش بن حابس التميمى وكان خطب فتاة من بنى ذهل ثم بنى سدوس يقال لها الرباب وهام بها زمانا فتمنع أبواها لجمالها وميسمها وقلة ماله فأضرب عنها زمانا ثم أقبل ذات ليلة راكبا فلما انتهى إلى محلتهم نزل بجوارها وأنشد شعرا منه :

ألا ليت شعرى يارباب متى أرى لنا منك نجحا أو شفاء فأشتفى
فقد طالما عنيتنى [1] ورددتنى وأنت صفيي دون من كنت أصطفى
لحا الله من تسمو إلى المال نفسه إذا كان ذا فضل به ليس يكتفى

فعرفت الرباب منطقه وجعلت تتسمع إليه وحفظت شعره ورجعت إلى أمها فقالت : يا أمه هل أنكح إلا من أهوى وألتحف إلا من أرضى قالت لا فماذاك ؟ قالت أنكحينى خداشا قالت ومايدعوك إلى ذلك مع قلة ماله قالت (إذا جمع المال السيء الفعال فقبحا للمال) فأخبرت الأم الاب بذلك فقال ألم نكن صرفناه عنا فما بداله؟ ثم دخل خداش عليهم وسلم وقال : العود

(١) عناه أتعبه ومجرده عني وقد روي القاموس في الهامش غيبتني بدل عنيتني وليس بشيء

أحمد ، والمرأة ترشد ، والورد يحمد فأرسلها مثلا وقد روى القاموس فى مادة حمد هذه القصة دون أن يعلق هو أو شارحه على تعدى التحف بنفسه فى منطق الرباب فيسوغ للكتاب استعماله متعديا بنفسه كما يقتضى التوسع والتسهيل اللذان نريدهما للغتنا الكريمة .

١٢ — ارتدى الثوب وترداه : كذلك أنكر بعضهم الصيغتين متعديتين بنفسهما لأن المعاجم لم تصرح بالمفعول فى عباراتهما واقتصرت على تردت الجارية توشحت أو لبست الرداء ولكن السموءل يقول فى أول لاميته

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل

ويقول عمرو بن معدى كرب الزبيدى

ليس الجمال بمئزر   فاعلم وإن رديت بردا

وما دام ردى يتعدى لمفعولين كما فى بيت عمرو فمطاوعه يتعدى لمفعول واحد قال الرضى فى شرح الشافية (وتفعل الذى للاتخاذ مطاوع فعل الذى هو لجعل الشىء ذا أصله إذا كان أصله اسما لا مصدرا فتردى الثوب مطاوع رديته الثوب أى جعلته ذا رداء وكذا توسد الحجر أى صار ذا وسادة هى الحجر مطاوع وسدته الحجر ، فهو مطاوع فعل المذكور المتعدى إلى مفعولين ثانيهما بيان لأصل الفعل لأن الثوب بيان الرداء والحجر بيان الوسادة فلا جرم يتعدى هذا المطاوع إلى مفعول واحد) انتهى كلامه فى تفعل أما افتعل الذى يأتى للمطاوعة ويغنى عن انفعل فقد قال الرضى بعد صفحتين مما تقدم (ويكثر إغناء افتعل عن انفعل فى مطاوعة ما فاؤه لام ، أو راء ، أو نون أو ميم ، تقول فى مطاوع رميت مثلا ارتمى لا ارمى وهكذا) ولا ريب أن فعلنا رائى الفاء فهو داخل تحت ضابطه .

١٣ — يخاف من الله : أنكر بعض العارفين تعدية هذا الفعل بحرف الجر ولم يثقوا بمثل أقرب الموارد إذ عداه بنفسه وبحرف وقالوا إن القرآن

يقول (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ويقول (فمن خاف من موص جنفا أو أثما فأصلح بينهم) والمأثور يقول (نعم العبد صهيب لولم يخف الله لم يعصه) وقال المعربون إن يوما فى قوله تعالى (إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) مفعول به لاظرف لأن المراد أنهم يخافون ذات اليوم والظرف لاينصب إلا بتضمنه معنى فى باطراد واعراب اليوم ظرفا يبعد عن المراد . وعندى أنه لابعد حين نعلق من ربنا بنخاف والمعنى حينئذ إنا نخاف ربنا فى يوم عبس أهله على ماقدمت أيديهم وحوسبوا عليه وقد ورد فى الأمالى لأبى على القالى ص ١١٢ جزءا فى مادة خاف (ويقال خفت من الشيء وأخاف خوفا وخيفة وخيفا ، ونظير ذلك حذر فانه يتعدى بنفسه وبالحرف فلا مانع من استعمال خاف متعديا بنفسه وبالحرف

١٤ — القافلة بين مكة وبين المدينة : أنكر كثيرون تكرار بين فى الظاهر وقالوا لايقال القافلة بين مكة وبين المدينة وإنما المشهور المعروف أن يقال القافلة بين مكة والمدينة واستقبحوا تكرارها مع المظهر لكن التكرار مع المظهر جاء فى فصيح الكلام وأقر ذلك أبو البقاء فى كلياته عند الكلام على بين ولم يذكر لها شاهدا ولكن قرأنا خطبة النبي عليه السلام التى أولها (إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم . إن المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لايدرى ماالله صانع به وبين أجل قد بقى لايدرى ماالله قاض فيه) فى نقد النثر لقدامة ص ٩٨ وعيون الأخبار لابن قتيبة ص ٢٣١ فى الجزء الثانى والمواهب الفتحية فى الجزء الثانى ص ٢٠٦ للمرحوم أستاذ الشيخ حمزة فتح الله وقد شرح الخطبة وتكلم على بين بمايشفى وختم كلامه بقوله (والحق أنه يجوز تكرار لفظة بين مع المظهر وأن ذلك كثير في كلام العرب تأكيدا قاله ابن برى)

وأزيد على ماتقدم مايستأنس به لجواز التكرار قال عبيد بن الأبرص

ياذا المخوفنا بقتـ ـل أبيه إذلا لاوحينا

نحمى حقيقتنا وبعـ ـض القوم يسقط بين بينا

بين هنا مكررة للدلالة على التنصيف والتوسط وما على الأدباء بأس لو استبدلوها بكلمتى نصف نصف قال فى الصحاح (هذا الشىء بين بين أى بين الجيد والردىء) فكأن الشاعر يقول بعض القوم يسقط بين القدرة وبين العجز ثم حذف المضاف اليه من كل وحذفت الواو وركب الظرفان وبنيا لتضمنهما واو العطف وهذا التحليل لامندوحة منه لأن الكلام لو كان فيه لفظ بين واحدة مااستطعنا أن نركب ونضمن التركيب حرف العطف فتفسير الصحاح بين بين بقوله بين الجيد والردىء تفسير معنى لاتحليل ألفاظ ولامانع من استعمالها مكررة مع المظهر بعد هذه النصوص الصريحة ؟

١٥ - تحنان : أنكر بعضهم هذا المصدر لأنه لاأثر له فى المعاجم وليس من المصادر القياسية التى يستغنى بقياسيتها على التنصيص عليها وسمعت أديبا ينكر على المرحوم البارودى باشا مجدد الشعر فى هذا العصر قوله :

سواى بتحنان الأغاريد يطرب وغيرى باللذات يلهوا ويلعب

ويقول من أين أتى بتحنان ؟ وما أخطأ شاعرنا فى اللغة ولا جاوز الصواب تقول الخنساء فى رثاء أخيها صخر من قصيدة

فما عجول على بو تطيف به لها حنينان إصغار وإكبار

لاتسمن الدهر فى أرض وإن ربعت وإنما هى تحنان وتسجار

يوما بأوجد منى يوم فارقنى صخر وللدهر إحلاء وإمرار (١)

---

(١) عجول ثكول، بو جلد رضيع يحشى تبنا مثلا ويقرب من الام فتدر عليه (ربعت) أصابها مطر الربيع تحنان حنين ، تسجار مد فى التطريب والتنغيم ، بأوجد بأشد حزنا ووجدا

وتقول كتب الصرف (فى أبنية المصادر نحو الترداد والتجوال للتكثير)
قال الرضى : يعنى أنك إذا قصدت المبالغة فى مصدر الثلاثى بنيته على التفعال
وهذا قول سيبويه كالتهذار فى الكثير الهذر ، والتلعاب والترداد والتحنان
وهكذا وهو مع كثرته ليس بقياس مطرد وفى الآتيان بالتفعال من الثلاثى
قولان سماعى وقياسى والأول أرجح

يتبع على السباعى

تهنئة مرب كبير

منح حضرة المربى الكبير محمد جاد المولى بك

الدرجة الأولى

الشاعر القدير محمود غنيم

فكتب إليه يقول :

أهون بها درجات نلت غايتها لسنا نهنيك لكنا نهنيها

لو أنصف الدهر — والاجحاف شيمته —

ما كنت تأخذها بل كنت تعطيها

الفهرست